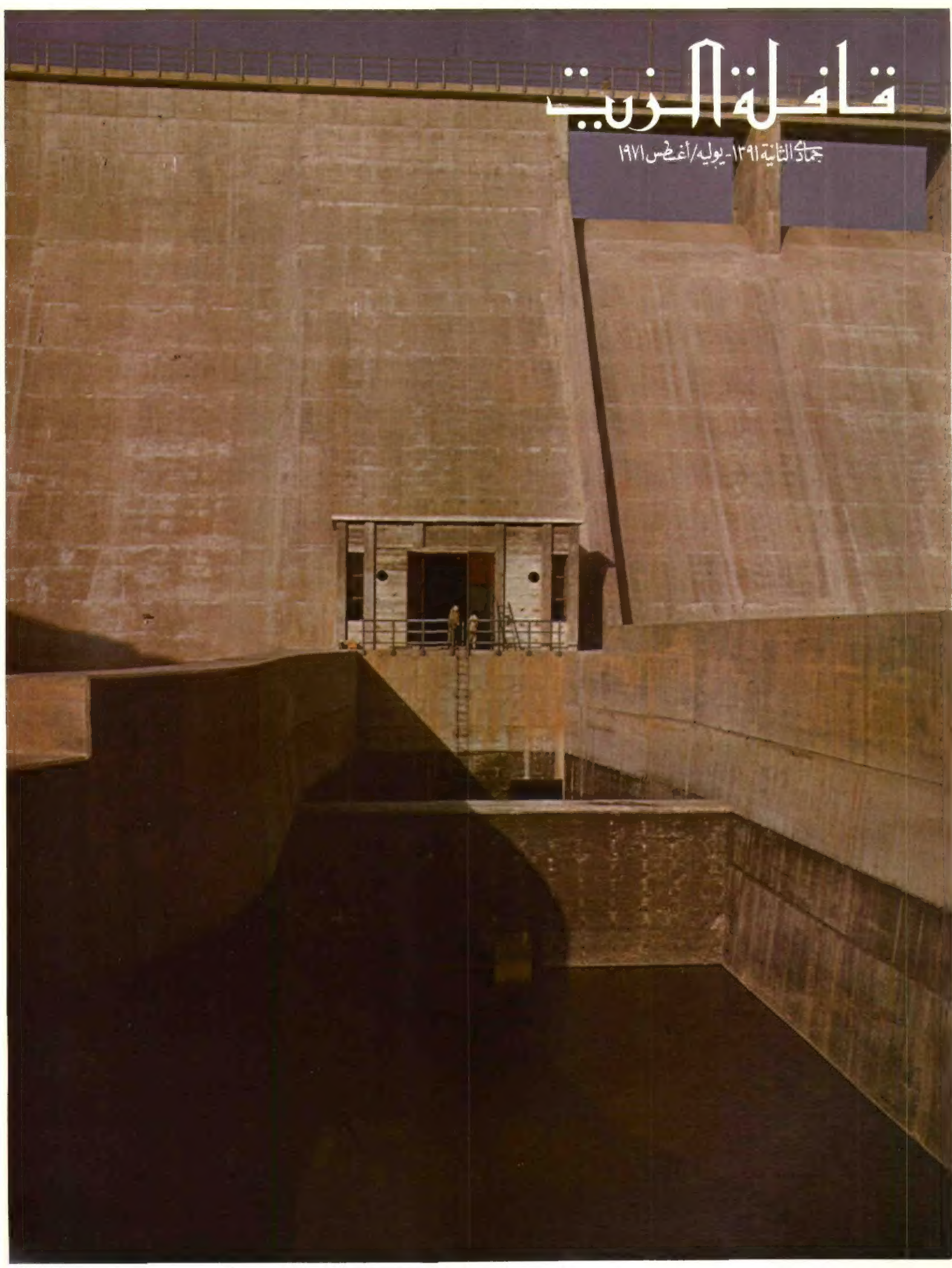
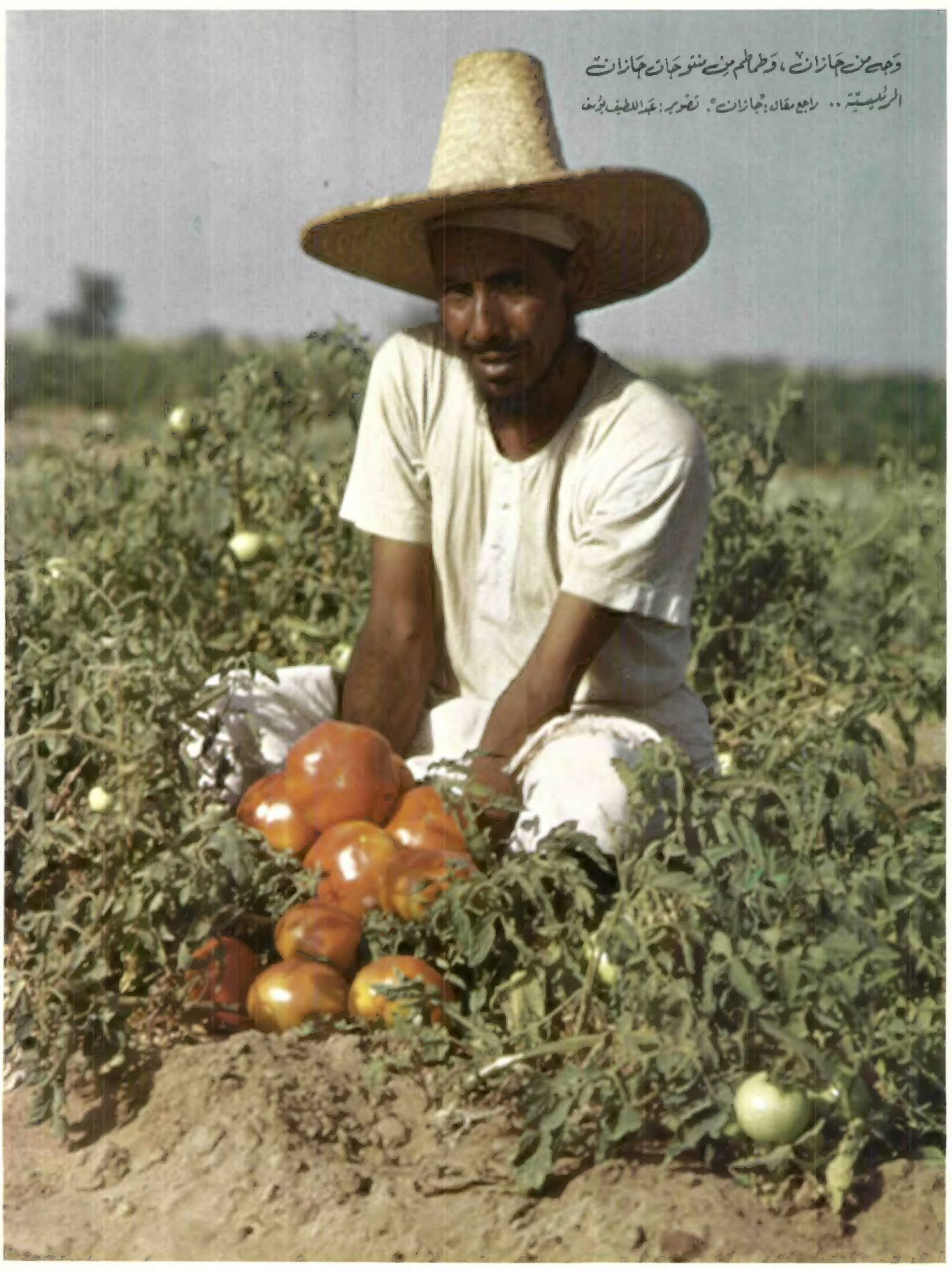


خافله الزيت

جمادى الثانية ١٣٩١ - يولييه / أغسطس ١٩٧١



وہ جس نے ہزارات، وطرلم نے سنوہان ہزارات
الرئیسیتہ .. راجع مقالہ ہزارات، نقویر: عبد اللطیف بڑین



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فاخلة الزيت

العدد السادس المجلد التاسع عشر

تَصَدَّرْ شَهْرِيًّا عَنْ

شَرَكَةِ الزَيْتِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ
لِمَوْظِفِيهَا
إِدَارَةِ الْعِلَاقَاتِ الْعَامَةِ
تَوَزَّعَ بِحَسَبِ مَا نَأَا

محتويات العدد

آداب

- الاتجاهات الحديثة في العمل المسرحي في أمريكا د. عبد الرحمن ياغي ٣
شيء من الفكاهة في الأدب العربي محمود الشراوي ١٥
الإنسان فوق القمر (قصيدة) محمود عارف ١٨
لن أعاقب (قصيدة) روحية القليني ٣٨
هدية للصديقة سعاد (قصة) فاضل السباعي ٤١
أخبار الكتب ٤٦

علوم

- وسائل زراعية حديثة ٤٧
أمرع من الضوء نقولا شاهين ١٩

استطلاعات

- جازان على عتبة فجر جديد ٢٥
مكامن الزيت : طبيعة تكوينها وصفات صخورها فتحي أحمد يحيى ٧

لقاء مع

- جورج صيدح أبو طالب زيان ٣٩

العنوان: صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

الغلاف على صورة الغلاف

جانب من سد وادي جازان ،
وهو أضخم سد تم تشييده في
المملكة العربية السعودية حتى
الآن .. راجع مقال « جازان » .
تصوير : عبد اللطيف يوسف

المدير العام: مصطفى حسنان
المدير المسؤول: علي حسن قناديلي
رئيس التحرير: منصور مدني المحرر المساعد: عوني ابوشك

- كلما ينشر في «فاخلة الزيت» بغیر اقلام هيئة التحرير يعبر عن آراء الكُتاب أنفسهم ، ولا يعبر بالضرورة عن رأي «الفاخلة» أو عن إختصاصها .
- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في «الفاخلة» دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر .
- لاقتبل «الفاخلة» إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها ، وهي تؤثر بآراء النسخة الأصلية مطبوعة على الآلة الكاتبة ، ومنقحة .
- يتم تنسيق المواضيع في كل عدد وفقاً لمتطلبات فنية لا تتعلق بمكانة الكاتب أو أهمية الموضوع .
- تنسيق المقالات على النحو الذي تظهر فيه بحري عادة وفق ظروف يقتضيها نهج «الفاخلة» .

الاتجاهات الحديثة في العمل المسرحي في أمريكا

بقلم الدكتور عبد الرحمن ياغي

فما هي القوى الداخلية ؟ وما هي تلك القوى الخارجية التي يقف عندها « داويز » وقفة طويلة ويوليها أهمية خاصة ؟ ان « داويز » قبل أن يخوض في البحث ، يشير الى أن العمل المسرحي يستقي أهميته الأولى من عملية الاخراج ، وهي التي يطلق عليها اسم التجربة العملية ، ويعلن ان سائر القضايا تأتي في الدرجة الثانية من الأهمية . ان اخراج المسرحية في رأي « داويز » يقتضي الاهتمام بالمشاهدين الذين يختلفون الى صالة المسرح وقاعاته ويتغيرون من ليلة الى أخرى ، وكأنما هم دورهم الفعال في المشاركة في اعادة صياغة العمل المسرحي لكي يناسب عملية الاخراج .

لم يعد المسرح مجرد وسيلة من وسائل التسلية أو اللهو ، بل أصبحت له مجالات اهتمام وعناية بحيث يشد الجمهور الى خشبته والاقبال على المسرحية التي يعرضها .. ولقد أصبح جمهور المشاهدين هما من المهموم التي تتعلق بها المشتغلون بالعمل المسرحي .

ومن هنا نرى داويز يعرض للعلاقة التي تربط كاتب المسرحية بالمخرج والمنتج ، حيث تطورت تطورا كبيرا منذ نهاية الحرب العالمية الأولى . فحين كان « يوجين أونيل » يترقب بفارغ الصبر عملية الاخراج

من شك في أن المدارس الفنية التي نشأت في أوروبا حول الأعمال المسرحية والاخراج الفني ، وهذه الاتجاهات الحديثة في العمل المسرحي .. كان صداها يتردد في أنحاء العالم وتتناوط الصحف ودور النشر بالعرض والنقد والتنقيح .. وكانت هذه الأصداء تصل الى اسماع المخرجين في أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية . ولعل « ألان.س . داويز » أن يكون أشد الكتاب الأمريكيين المحدثين اهتماما بالبحوث المسرحية .. فهو ، الى جانب اشتغاله أستاذاً للأدب الانكليزي في جامعة برنستون ، عمل على تأسيس الجمعية الأمريكية للبحث المسرحي ، ثم أصبح رئيساً لتلك الجمعية . وقد ألف حول « المسرحية البريطانية » وحول « المسرحية الأمريكية في خمسين عاما » وحول « فن المسرحية » . ومن هنا فقد كانت لآرائه أهمية خاصة في هذا المجال .

ولقد أثار « داويز » فيما أثار قضية القوى الداخلية التي تؤثر تأثيرا كبيرا في العمل المسرحي بحيث لا يستطيع أي كاتب مسرحي حديث أن يهمل شأنها .. كما عرض كذلك للقوى الخارجية البعيدة الاتصال بهذا العمل ، ولكنها تؤثر تأثيرا لا يمكن التغاضي عنه .

من اخراج مسرحية من المسرحيات على منصة المسرح . ان الأمر لم يعد كما كان في السابق يتحكم به كاتب النص المسرحي ، ويفرض رأيه ووجهة نظره ، وتسخر له جميع القوى الأخرى بحيث نهياً جميعها لكي تتلاءم وكل عبارة صاغتها عبقريته .

قد خضع اليوم الكثيرون من كبار الكتاب لتأثيرات هذه القوى الجديدة .. قوى المختصين في اللون وفي التصميم وفي الديكور وفي الضوء وفي الصوت والموسيقى وفي سيكولوجية الجماهير وفي جميع المجالات التي يحتاجها الممثلون ويحتاجها الإخراج الفني بكل أبعاده الآلية والانسانية .. استسلم الكثيرون من كتاب المسرحيات حين وجدوا أنهم لم يتهيأوا لكل هذه الاختصاصات جميعها . حتى الكتاب من أصحاب الملكات الفائقة في مجالات المسرح ، أمثال « أونيل » خضعوا لهذه القوى المؤثرة بعض الشيء .. وكل ما زادوه على الأمر أنهم اشترطوا على مخرجي مسرحياتهم أن يتجلبوا بالذكاء والفتنة وعمق النظرة والمقدرة على التجدد والرغبة في التعاون الخلاق !

ولم تكن هذه القوى المؤثرة الموجهة الفعالة مقصورة على ما ورد ذكره سابقا ، بل ان الشؤون المالية للمسرح تشكل جانبا مهما في هذه القوى الفعالة التي لها جذورها التاريخية ، حيث واكبت العمل المسرحي منذ نشوئه . ولقد اشتدت وطأة هذه القوى وأصبحت عبئا ثقيلا ، بل غدت مشكلة في أمريكا حين تقلص المسرح وانزوى في أركان منحدره وزوايا جانبية خاصة ، . ولقد وقع هذا كله على كاهل المسرحيات ، فلم يعد يسمح للمسرحية بأن تواصل العرض على منصة المسرح اذا ما قل عدد المشاهدين لها وتقلصوا .. فانها حينذاك تدرج في سلسلة الاخفاق ، ويوقف عرضها مهما يكن أمرها ، حتى لو كانت تبشر ببذور فنية جديدة جديدة بالنظر والتقدير والاهتمام لدى طائفة مستنيرة من المشاهدين . أما المسرحية التي يهرع لمشاهدتها أعداد كبيرة من المشاهدين ، مهما يكن شأنها من حيث المستوى ، فتدرج في عداد المسرحيات الناجحة ، ويستمر عرضها ما دامت قد أحرزت النجاح الساحق . ولم يعد هناك مجال ، بفعل هذه المؤثرات ، لأن يسمح لمسرحية بالاستمرار في العرض اذا كانت تثير اهتماما لدى عدد خاص محدود من المشاهدين أو اذا كانت ترضي عددا معيناً قليلا من النظارة ! من هنا أصبح لزاما على الكاتب المسرحي أن يزيد من اعتماده على شركائه في العمل .. ومن هنا أصبح للشركاء دور أساسي في هذا العمل الفني ، بل أصبح على الكاتب أن يلبي الكثير مما يطلبه اليه شركاؤه وأن يكون في مستوى في بحيث يتيسر له فهم متطلبات المهنة وأصولها وأبعادها ! فما أكثر ما بذل « أونيل » مثلا في مسرحيته « الرغبة في ظل شجرة الدردار — Desire under the Elms » حين وصف بيتا ريفيا وجعله رمزا في المسرحية .. لقد اضطر حينئذ الى أن يملأ المخطوطة الأولى لمسرحيته برسومات توضح كيفية اقامة ذلك البيت واستخدامه وكذلك كانت العلاقة بين الكاتب المسرحي « آرثر ميلر » وبين مخرجه .. فقد كان « ميلر » على درجة من الادراك لأبعاد العمل الفني في

لروايته « القش — The Straw » في سنة ١٩٢٠ ، جاءه أخوه ليعلم اليه بأن المخرج والمنتج قد حزما أمرهما على احداث تغيير في نص المسرحية وفي بناء أحداثها ، بل قررا ما هو أبعد من ذلك حين عمدا الى احداث تعديل في اتجاه سير إحدى الشخصيات ليحجيء ملائمة لمواهب خاصة تتمتع بها إحدى الممثلات التي تستعد لاداء دورها في المسرحية ! وثارت نائرة « أونيل » واستبد به الغضب وأعلن رفضه الحاسم لأي تغيير أو تعديل يمتد الى أي جانب من جوانب مسرحيته ، سواء أكان ذلك في النص أم في الحدث أم في سير الشخصيات : « .. ليس لأحد سواي شأن في هذا المجال .. انها مسرحيتي ، وسأقف مدافعا عن كل سطر فيها ازاء أي مساس بها .. » هذا ما كان يجري في حدود سنة ١٩٢٠ ، ولكن أي تغيير طرأ في هذا الشأن بعد أربعين عاما ؟ ما الذي أصاب هذه العلاقة فيما بعد ؟

قد تطورت هذه العلاقة ، فغدت سببا لاقامة الاجتماعات وعقد المؤتمرات ، وتبادل المشورات بين المخرج والمنتج من جهة ، وبين الكاتب المسرحي من جهة أخرى .. كما غدت فرصة لعقد الاتفاقات وإجراء التسويات واحداث التغييرات والتعديلات والحذف والزيادة ان اقتضى الأمر ، بل لقد بلغت هذه العلاقة حداً جعل حتى مكتب صرف التذاكر يقوم بدوره في هذا الشأن حيث يمد هذه الأطراف جميعها بوسائل النصح المختلفة التي أصبحوا ينتظرونها منه ويتلقفونها بكل اهتمام وعناية ، بل امتد اهتمام هذه الأطراف الى كل ما تنشره الصحف في زاوية المسرح وما تشير اليه وكالات الاستشار !

ولعل معترضا يقول : ان الذين يخضعون لمثل هذه الاتجاهات والتيارات والتأثيرات لا يمكن أن يكونوا من أصحاب القدم الراسخة في التاج المسرحي الأدبي ، بل ان هذه المؤثرات تمارس ضغطها على الناشئين المبتدئين في الكتابة المسرحية وحدهم . ويورد المعترض مثلا على ذلك ، الضغوط التي خضع لها الكاتب المبتدئ كارها « وليم جيسون » عندما أخرجوا له مسرحيته « اثنان للأرجوحة — Two for the Seesaw » ، حيث كتب عن مدى ما عاناه حتى خرجت مسرحيته في أول عرض لها على خشبة المسرح . غير أن « داونر » يجيب كل معترض بأن الأمر لم يقتصر أثره على المبتدئين الناشئين ، وإنما تجاوزهم الى أصحاب الباع الطويلة في الكتابة المسرحية ، ويورد مثلا على ذلك « تسمي وليامز » الذي استجاب لهذه التأثيرات الى درجة أنه أعاد كتابة الفصل الأخير من مسرحيته « قطرة فوق سطح حار من الصفيح — Cat on a Hot Tin Roof » حين طلب اليه المخرج ذلك .. بل ان الكاتب الكبير « آرثيبولد ماكليش » ، الذي نال الجائزة الكبرى لمسرحيته « كتاب أيوب » ، قد أجبرته هذه التأثيرات على أن ينحسر مع المخرج والمنتج لتبادل وجهات النظر ، وليعلن في النهاية أن المؤلف هو آخر من يستجاب لرأيه !

وهكذا ، فقد أصبح الفن المسرحي نتاج تعاون وثيق بين أطراف متعددة ذات مواهب متعددة خلاقة تؤدي بجهودها مجتمعة الى الغاية المرجوة

بعد مألوفة ، بل أصبح الأمر كأنما هو الشعار الدارج في اخراج المسرحيات الحديثة !

فقد أصبح زمام الأمور في يد هذا الخير الذي يتضح دوره في المثل التالي .. لقد تقرر اخراج مسرحية « كتاب أيوب » للكاتب « ماكليش » بعد أن كان قد نشرها في شكلها التام ، وبعد أن قامت بتمثيلها مدرسة « بيل » للتمثيل ، وبعد أن مثلت على مسارح أوروبا .. بعد هذا كله تقرر اخراجها على المسرح التجاري في « برودوي » على يد الخير « كازان » .. فماذا جرى ؟ لقد استغرق العمل عدة أشهر ، وجرت الاتصالات والمشاورات ، وقامت التجارب لهذا الشأن من أجل التهيؤ للعملية الفنية الكبيرة .. وكان أن أعاد « كازان » تشكيل المسرحية من جديد ، وأعاد بناءها الفني ، وأباح لنفسه أن يحذف شيئا من النص الأصلي ، بل طالب بإعادة النظر في النص من جديد ، وطلب توضيح الهدف الذي لم يكن على درجة كافية من الوضوح ، على حد قوله ، بل مضى الى أبعد من ذلك فطلب أن يعاد النظر في رسم الخطوط التي تحدد ملامح أحد الشخص .. وبشهادة النقاد المسرحيين جاء العمل يبعث على الروعة ويثير الإعجاب والتقدير ، وصادف نجاحا باهرا ورواجا منقطع النظير ، حيث أثار عواطف المشاهدين وشد أبصارهم الى منصة المسرح ، وتعلقوا بكل ما يجري فوقها . ولكن كل هذا التغيير جنح بالعمل الى خط سير مخالف ، الى حد ما ، لخط السير الذي رسمه المؤلف ، والذي استهدفه ، ورمى اليه !

من أجل ذلك رأينا « داونر » يعلن أن الخير في الفن المسرحي يشكل جانبا مهما له وزنه وشأنه في العمل المسرحي ، الى جانب الممثلين والمصممين ، وذلك في تكوين القوى الداخلية التي تتحكم وتؤثر في النص المسرحي ، وتعمل يد التعديل والتغيير وإعادة البناء في عملية الاخراج .. ومن هنا كان لهذا كله أثره القوي في الكاتب أو المؤلف ، حين ينوي كتابة المسرحية ، وحين يتمها ، وحين يتهيأ لقبول اخراجها على منصة المسرح ! ولم يعد بمقدور الكتاب المسرحيين التخلص من هذه القوى أو اهمال شأنها .. لقد أصبحت هذه القوى شريكة للكاتب في عمله !

وبعد هذا يعرض « داونر » للقوى الخارجية ويقصرها على جمهور المشاهدين أو النظارة الذين يختلقون للمسرح ، فيشدهم الى محاور اهتمام عامة ويلهيههم عن محاور اهتمامهم الخاصة . ويقسم « داونر » المشاهدين الى قسمين : قسم صغير يتردد على المسرح ويفد عليه من بسين أهالي العاصمة ، وقسم كبير يشكل الأكثرية يفد على المسرح من الريف في غالب الأحيان وقد أقبل على العاصمة سائحا أو باحثا عن عمل .

الاخراج المسرحي ، بحيث طلب الى مخرجه في احدى المسرحيات رسم خمسة وثلاثين نموذجا توضح مختلف المشاهد الواردة في تلك المسرحية . وقد قال في ذلك : « ليس علي أن أجد حلا لهذا الأمر ، بل الأمر موكول الى الرسام الذي ينبغي عليه أن يجد الحل الميسر لذلك .. » ولقد ترتب على ذلك أمور مالية مبهظة ، ولكنها حين تمت وأنجزت جاءت نموذجا رائعا يكشف جوهر المسرحية « موت بائع - Death of a Salesman » .. حتى ان هذه المشاهد والرسوم التي عملت على كشف الروعة في المسرحية حين أهملت في عملية تحويل المسرحية الى فيلم سينمائي فقدت المسرحية كل فعاليتها وكان تأثيرها ضئيلا !

ولقد أتاحت هذه العلاقة الجديدة فرصة للممثل ، فلم يعد أداة في يد الكاتب المسرحي يطوح به كيف شاء ، وإنما أتيحت للممثل الحرية في أن تكون له دوافعه الخاصة التي تدفع به وتحركه لاداء دوره ، وله دوافعه التي تتطور وتتخذ لنفسها خط سير مستقل في حياته الخاصة ، وأصبح حرا في أن يخطط لسيرته في الحياة دون الخضوع للخط الكبير الذي كان يحاول أن يخضعه له كاتبه المسرحي ! بل أصبح للممثل دور أساسي ، وغدا قادرا في بعض الحالات ، على دفع الكاتب لكي يعيد صياغة بعض الفصول أو الخواتم في المسرحيات لتلائم طبيعته . فحين عهد بدور القطة « ماجي » في مسرحية « قطة فوق سطح حار من الصفيح » ، وكان في الأصل دور فلاحه بسيطة ساذجة ذات نوازع ومطامح ومطامع .. حين عهد بدور القطة ، الى الممثلة (باربرا بل جدرز) كان لا بد من أحداث تغير أساسي في خاتمة المسرحية وفي شخصية الفلاحه .. فأعيدت كتابة هذه الخاتمة بحيث تلائم طابع الممثلة المشهورة ومزاجها وطريقاتها في الاداء وخط سيرها في شخصيتها الفنية ، وإذا الفلاحه في المسرحية تتحول الى خادمة صغيرة مستهتره في مدرسة خاصة للبنات ، وذلك لكي يتهيأ لباربرا القيام بدورها على الوجه المطلوب .

ولقد كتب المسرحيات ، بعد كل هذه الأبعاد المتشابكة الجديدة التي جدت في عملية الاخراج الفني ، وبعد كل هذه التعقيدات التي حدثت في مجالات الفن المسرحي .. لعلهم قد أعفوا من أن يخوضوا فيها ، لئلا يتبع ذلك فوضى في العملية الفنية . غير أنهم ، في مقابل هذا الاعفاء من الدخول في متاهات هذه المسارب وفي مآزق هذه التعقيدات ، سلموا أمرهم وأمر مسرحياتهم الى خير مختص عليم بأصول هذا الفن وأبعاده ، ولم يعد أحد بقادر على أن يمسك يد هذا الخير ويحول دون أن يجري التغييرات والتعديلات التي يراها مناسبة في النص لكي يتم اخراجه على الوجه الفني الذي يراه .. فلقد أباح هذا الخير لنفسه حين عمد الى احياء المسرحيات التاريخية أن يظهر « أورسن ويلز » في الزي الرسمي العصري مع أنه كان يمثل دور « يوليوس قيصر » وقد رمى الخير من وراء ذلك الى أن يتخذ من هذا التناقض شعارا يناوئ به الفاشية ويفضحها ويكشف قبحها .. وقد أصبحت هذه الطريقة فيما

ولعل

محاوَر اهتمام هؤلاء المشاهدين الخاصة هي المحاور ذاتها الى حد بعيد التي يتجمع عليها الجمهور الأمريكي بأجمعه .. حيث أن هناك فئات احتفلت بالمنافع المهنية وجعلتها محور اهتمامها الخاص وركزت عليها اهتمامها .. وهناك فئات شغلت بالنوازع الطبقية والاجتماعية .. وهناك فئات أولت اهتمامها للروابط السياسية والمطامح الذهنية والمطامع المادية التي تولف بين عناصر الأمة على نطاق واسع ! ولكن « داوَنر » يتساءل : ألم تكن هذه المحاور هي ذاتها محاور اهتمام المشاهدين الأمريكيين على الدوام ؟ ألم تكن هذه الصورة من عدم التجانس قائمة في المجتمع الأمريكي على مر العصور ؟ فما الذي تغير حينئذ ؟

يذكر « داوَنر » أن شخصية الأمة الأمريكية تتمثل في كثرة هذه التيارات العنصرية والثقافية ولكنه يشير الى أنه في الماضي كان هناك مسرب رئيسي تنتصب فيه كل هذه التيارات فتتلون بلون واحد يشكل وحدة منسجمة ونغما متساوقا واحدا في قلب هذا التنافر الكبير .. كان هناك خط سير رئيسي يستقطب سلوك الأمة بكاملها ، وكان الكاتب المسرحي يلوح به . ومهما يجمع التطور بخط السير هذا الا أن المؤلف المسرحي لم يكن ليخطئه أو يضل عنه .. بل ما أسهل ما كان يهتدي اليه حين كان يقف في مكان ما ويمد بصره الى الوراء ويستشرق الآفاق الممتدة الى الأمام ! انه كان يرمي الى ما يحس بأنه يشد المشاهدين أو السامعين اليه فيدركون مراميه بسهولة ويسر ! أما اليوم فقد تغيرت الأحوال .. لأن النقلة الكبيرة التي حدثت بسرعة في الحياة الأمريكية الحديثة المعاصرة ، وهذا التغير السريع الذي لا يتوقف ، والوثب السريع المتتابع .. قد فوت كله على الكاتب فرصة الاطمئنان الى وجود من يفهمه أو يدرك مراميه اذا مضى بعيدا الى الوراء أو اذا استشرى آفاقا تمتد الى الأمام امتدادا بعيدا واسعا !

ولعل من أجل هذا أحس « داوَنر » أن الملهاة الأخلاقية والمسرحية الاجتماعية لم يعد لهما مجال ضمن المسرحيات الرائجة في المجتمع الأمريكي ، مع أنهما في نظره تشكلان دعامة المسرح الحديث .. لم يعد هناك متسع من وقت لدى المؤلف المسرحي يمكنه من تمحيص قيم المجتمع التي يسرع اليها التغير حتى في أثناء رصداه وملاحظتها !

فما موقف المؤلف المسرحي الأمريكي ؟ ازاء هذه التغيرات السريعة والانتقالات المفاجئة والوثبات المتلاحقة في الحياة المعاصرة لمجتمعه ؟ يقول « داوَنر » انه اكتفى بالكشف عن الروابط العائلية ومضى يتعمقها ، واعتمد في معالجة المواقف الدرامية على النظريات السايكولوجية وعلى الانجاهات الطبيعية الواقعية !

وما موقف المنتجين الفنيين ازاء هذه الانتقالات السريعة ؟ يقول « داوَنر » : انهم حاولوا أن يهيئوا للمسرحية آفاقا واسعة ومجالات فسيحة ، وسخروا كل خبراتهم التجريبية في ميادين اللون والضوء والصوت والحركة ، بحيث نتج عن هذا كله أعمال فنية على جانب كبير

من الأهمية والروعة مما أكسب المسرح الأمريكي حيوية ونشاطا وتنوعا جعله يتفوق على المسرح في العالم الغربي ، وجعل المشاهدين الأوروبيين يتعلقون بها ، وحمل المنتجين في المسارح الأوروبية على أن يتأثروا بها .. غير أن هناك أمرا تجدر الإشارة اليه في هذا الصدد ، وهو أن هؤلاء المشاهدين المعجبين المأخوذين حين كانوا يتلمسون المعروض ويتلمسون سبب اعجابهم لا يجدون غير الحيوية التي تشيع في العمل أو المنظر الساحر وكأنما ليس هناك من مبرر لهذه الضجة من الاعجاب والروعة التي تأخذ على المشاهد له .

ومن هنا كان الاعتماد كبيرا على اثارة الدهشة من على منصة المسرح .. وكان الاهتمام بجميع الوسائل التي تضع مضمون المسرحية في اطار كاشف . ومن هنا كان لا بد من قيام التعاون التام بين الاخراج والتأليف المسرحي بجميع أجهزته !

ولعل من أروع ثمرات هذا التعاون الناجح مسرحية « موت بائع الآنفة » الذكر حيث بذلت الجهود الفنية ، واتخذت جميع الوسائل والخبرات لحل مشكلة تعدد المشاهد في المسرحية الواحدة حيث تقع احداثها في غرف عديدة من مبنى صغير وتنتقل في الساحة حول البيت .. وفي المطعم .. وفي المكتب .. وفي غرفة الفندق . فما كان من المخرج الا أن أشار الى مختلف المشاهد التي تتمثل على خشية المسرح ، بوضع طاولات وكراسي كلما دعت الحاجة ، ثم لجأ الى اعتماد حركات في الضوء حينما والى ايقاع ألحان منغمة أحيانا أخرى ، والى اللجوء للبساطة التامة الخالية من كل هذا في حين ثالث .. وبذلك تم له التناسق بين العالم الخارجي وعالم الأحلام ، ومن هنا تم احراز النجاح الباهر للمسرحية !

ولعل

يخشى « داوَنر » بعد هذا كله من أن يطفى الاخراج الفني على التأليف المسرحي ، ولعل هذا ما أشار القلق لدى الكاتب « آرشيبولد ماكليش » حين عرضت مناظر مسرحيته « كتاب أيوب » فقد أحس بأن القوى الداخلية والخارجية في العمل المسرحي قد تعاورت عمله الأدبي ، فحولته الى سيرك مجنون متنقل ! ومع أن جمهور المشاهدين قد استغرقوا في شبه غيبوبة تنويمية وكانوا ذاهلين عن أنفسهم مشدودين الى منصة المسرح ، الا أنهم فقدوا القدرة على استيعاب الحديث الفلسفي العميق الذي يشتمل عليه النصف الثاني من المسرحية .

وكانما الغرض من عملية الاخراج قد اقتصر على بعث روح الحركة والحيوية في المسرحية أطول فترة ممكنة ! ومن أجل ذلك كان لهذا الضجيج الذي يضج به المسرح ما يبرره .. وكأنما الفن المسرحي قد خرج بالمسرحية من الاحتفال بعظمة الروح الانسانية الى الاحتفال بمغامرات الأبطال ومخاطراتهم .

وهكذا ، أصبح لهذه القوى الفعالة في العمل المسرحي ، سواء منها الخارجية أم الداخلية ، تأثيرها في تشكيل المسرحية أو اعادة تشكيلها من جديد !

حكاية الزيت

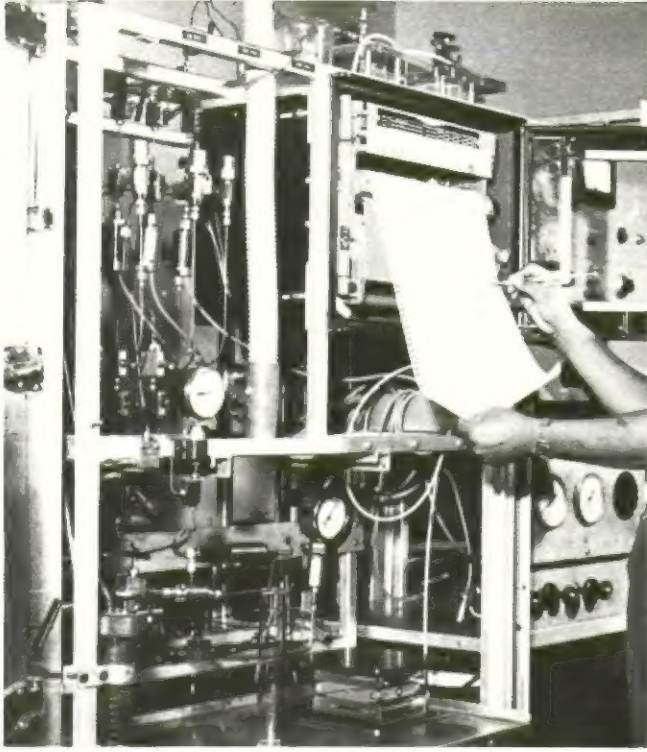
طبيعة تكوينها وصفات صخورها

بقلم المهندس فحي احمد بعي

طريقة التفجير الزلزالي لقياس الاهتزازات الأرضية،
من الوسائل الجيوفيزيائية المتبعة في مجال البحث عن
تشكيلات الصخور التي يحتمل وجود الزيت فيها .

قافلة الزيت





تم عملية قياس درجة النفاذية لعينات الصخور المأخوذة من باطن الأرض خلال مراحل وبأجهزة متنوعة من بينها هذا الجهاز الظاهر في الصورة .



قياس مسامات الصخور ، من الخطوات الضرورية التي يُعتمد إليها في دراسة مكامن الزيت . ويبدو هنا أحد الأجهزة الخاصة بقياس المسامية التابعة لمختبر الخدمات الفنية بأرامكو ..

التشكيل الجيولوجي ، والماء في الطبقة السفلى . أما الزيت فيكون محصوراً بينهما . وفي كثير من الحالات ، يكون الغاز مذاباً في الزيت ، كما هي الحال في معظم مكامن الزيت في المملكة العربية السعودية .

طبقة تكون مكامن الزيت

تعتبر الرسوبات البحرية الكامنة في الصخور الرسوبية ، والتي تغطي أكثر من ثلث مساحة سطح المعمورة اليوم ، من الدلائل الرئيسية التي يعتمد عليها رجال الزيت في البحث عن البترول . بيد أن قسماً كبيراً من هذه المساحة الشاسعة يخلو من وجود تشكيلات جيولوجية حاملة للزيت ، وذلك إما لاحتواء تلك الصخور الرسوبية على نسب ضئيلة من المواد العضوية والبقايا البحرية ، وإما

«Shale» ونادراً ما يجري الحفر في مثل هذه الصخور الأم . ان كمية انتاج الزيت فيها، ان وجد، يكون قليلاً ، بل يكاد يكون معدوماً . وأما الصخور الحاملة للزيت فيطلق عليها جيولوجياً اسم «صخور المكامن Reservoir Rocks» وتتكون في معظمها من صخور رملية أو صخور جيرية مسامية ، ومن أبرز خصائصها انها ذات نفاذية ومسامية عاليتين ، وتحملها من الأعلى ومن الجوانب صخور صلبة متماسكة لا ينفذ منها أي سائل أو غاز ، ويعرف هذا النوع من الصخور الصلبة باسم «صخر الغطاء Cap Rock» ومثال ذلك «صخر الانهيدرايت Anhydrite» والسجيل «Shale» . وعندما يتجمع الزيت ، والغاز ، والماء تحت صخر الغطاء هذا ، فإنه يمكن التمييز بينها جميعاً عن طريق التفاوت في وزنها النوعي . فالغاز ، وهو الأخف ، يتجمع في أعلى

جميع الأبحاث التي قام بها العلماء والباحثون دلالة قاطعة على أن الزيت قد تكون من بقايا الحيوانات والنباتات المائية ، وخاصة البحرية ، المغمورة تحت طبقات الصخر الرسوبية المختلفة وبفعل تأثير الضغط والحرارة الشديدين على مر السنين الطويلة تحولت بقايا تلك الكائنات الحيوانية والبحرية الى هيدروكربونات ، أخذت بفعل العوامل الطبيعية تتجمع وتنقل بين مسامات الصخور الرسوبية وفجواتها ، حتى انتهى بها المطاف في النهاية لتتجمع في أحد التشكيلات الجيولوجية ذات الضغط المنخفض نسبياً .

ان الزيت في العادة لا يوجد في المنطقة التي يتكون فيها، فهناك «الصخر الأم - Source Rock» الذي قد تكون فيه ، والذي هو عبارة عن نوع من الصخور الدقيقة الحبيبات ، مثل السجيل



مجموعة من الحفريات الدقيقة « مستحاثات » المختلفة ، التي يمكف الجيولوجيون على دراستها وتصنيفها لتقدير أعمار الصخور التي تكون الزيت في جوفها .. وهي مكبرة نحو ٢٥ مرة ..

النوع من الصخور، الصخور الجيرية والدولوميتية ، وفي بعض الأحيان تتكون هذه الصخور من الطباشير والطين الخزفي « Marl »، وترجع أهميتها الى كونها تشكل صخور المكامن في أكثر من نصف حقول الزيت في العالم. ومعظم صخور مكامن الزيت في منطقة الخليج العربي ولا سيما في حقلي بقيق والغوار بالمملكة العربية السعودية وبعض الحقول الواقعة في ايران والعراق ، معظمها من الصخور المكونة كيميائيا .

أما النوع الثالث وهو الصخور النارية أو المتحولة أو الخليط منها جميعها ، فان وجود الزيت فيها يكون عادة في « الفوالق - Faults » أو محصورا في الشقوق الطبقية ، ومثال ذلك صخور المكامن الواقعة في منطقة جبال « روكي - Rocky » بالولايات المتحدة الأمريكية .

هذا ، ومن بين الخطوات الأساسية التي يتبناها مهندسو البترول في التنقيب عن الزيت دراسة

طبيعة الصخور الأخرى باختلاف موادها وبتنوع الامتدادات والمناطق الصخرية التي مرت بها قبل أن تستقر وترسب ، وكذلك تختلف باختلاف العوامل المناخية التي تعرضت لها أصلا ، ومراحل الحياة البيولوجية التي مرت بها آنذاك ، وبالتالي باختلاف المنطقة التي حدث فيها الترسيب . وعلى ضوء هذه الخصائص الجيولوجية نجد ان تكوينات هذه الصخور تختلف عن غيرها من حيث تكوينها الكيميائي . ومعظم هذه الصخور رملية أو جيرية ، كالصخور الرملية المنتجة في حقل « البرقان » في الكويت .

وأما النوع الثاني من الصخور المكونة كيميائيا وبفضل الأحياء الطبيعية ، فانها عبارة عن مواد معدنية ترسبت في نفس المكان الذي تكونت فيه تلك الصخور ولم تتوفر لها العوامل الطبيعية الكفيلة بنقلها أو تحريكها من منطقة الى أخرى كما هو الحال في النوع الأول من الصخور . ويتسمي الى هذا

لأن الهيدروكربونات التي قد تكونت في منطقة ما تكون قد تسربت عبر الشقوق والصدوع الى سطح الأرض ، وضاعت هباء دون الاستفادة منها . ولعل الصخور الرملية والجيرية (الكلسية) و « الدولوميتية - Dolomites » وجميعها من الصخور الرسوبية ، من أنواع صخور المكامن المتعارف عليها علميا . ونادرا ما تكون صخور المكامن صخورا « نارية - Igneous » أو صخورا « متحولة - Metamorphic » . ويمكن تقسيم صخور المكامن بالنسبة الى أصل تكوينها الى ثلاثة أنواع هي : الصخور المكونة من فتات وقطع الصخور الصغيرة ، والصخور المكونة كيميائيا أو بفعل الأحياء الدقيقة ، والصخور النارية أو المتحولة . ويتكون النوع الأول من الصخور من جزئيات صخرية صغيرة وكسور بعض المعادن والصخور القديمة التي انفصلت عن الصخور الأولية بفعل عوامل التعرية . وتختلف طبيعة هذه الصخور عن

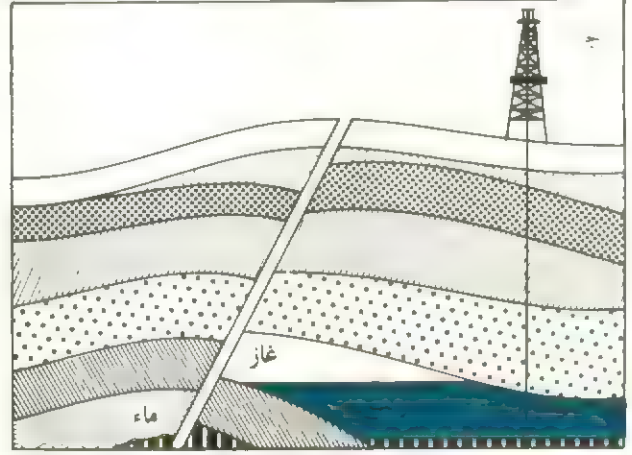
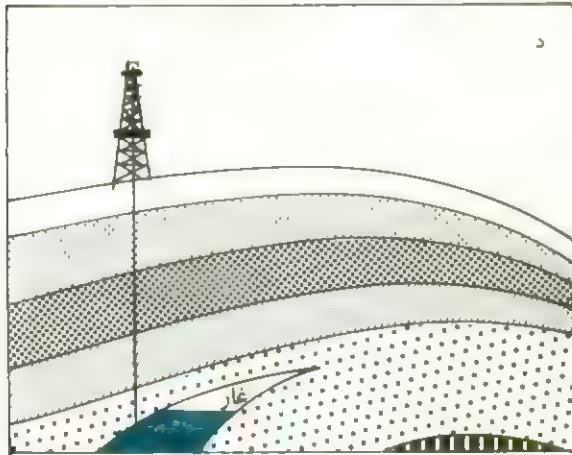
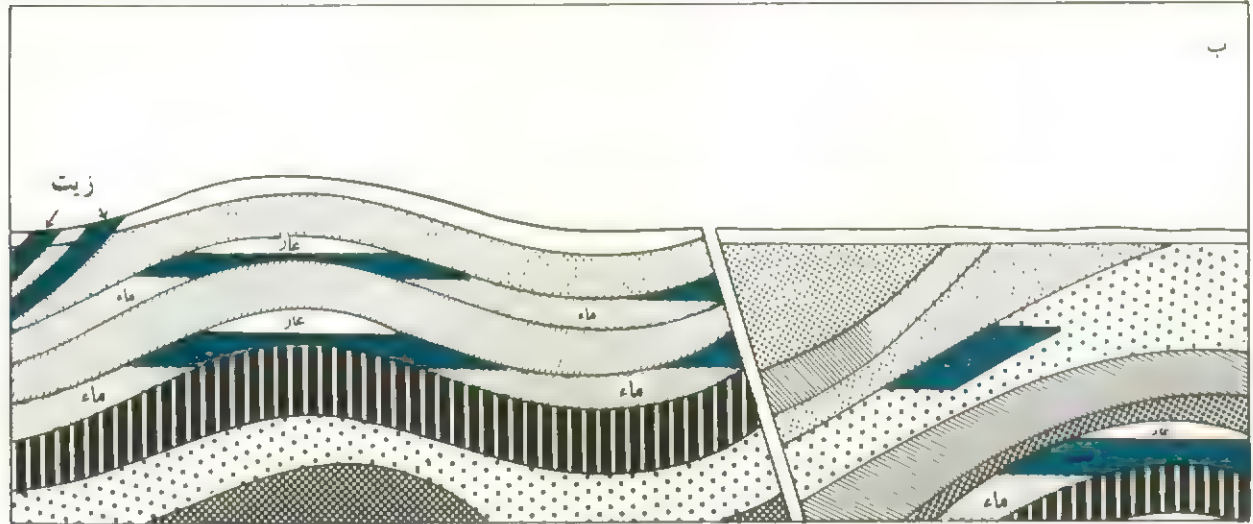
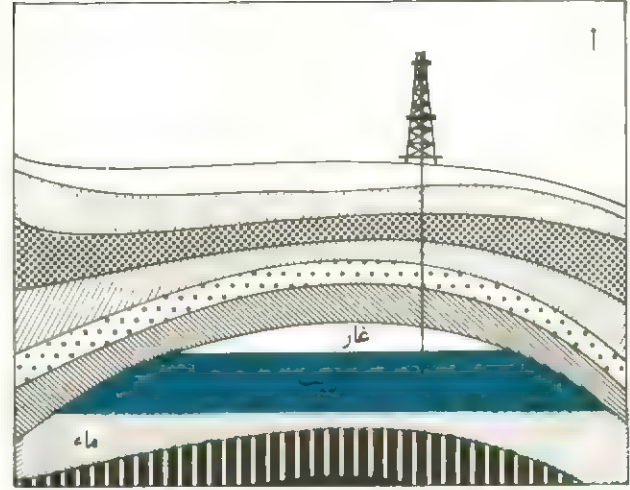
بعض أشكال مكامن الزيت الهامة .

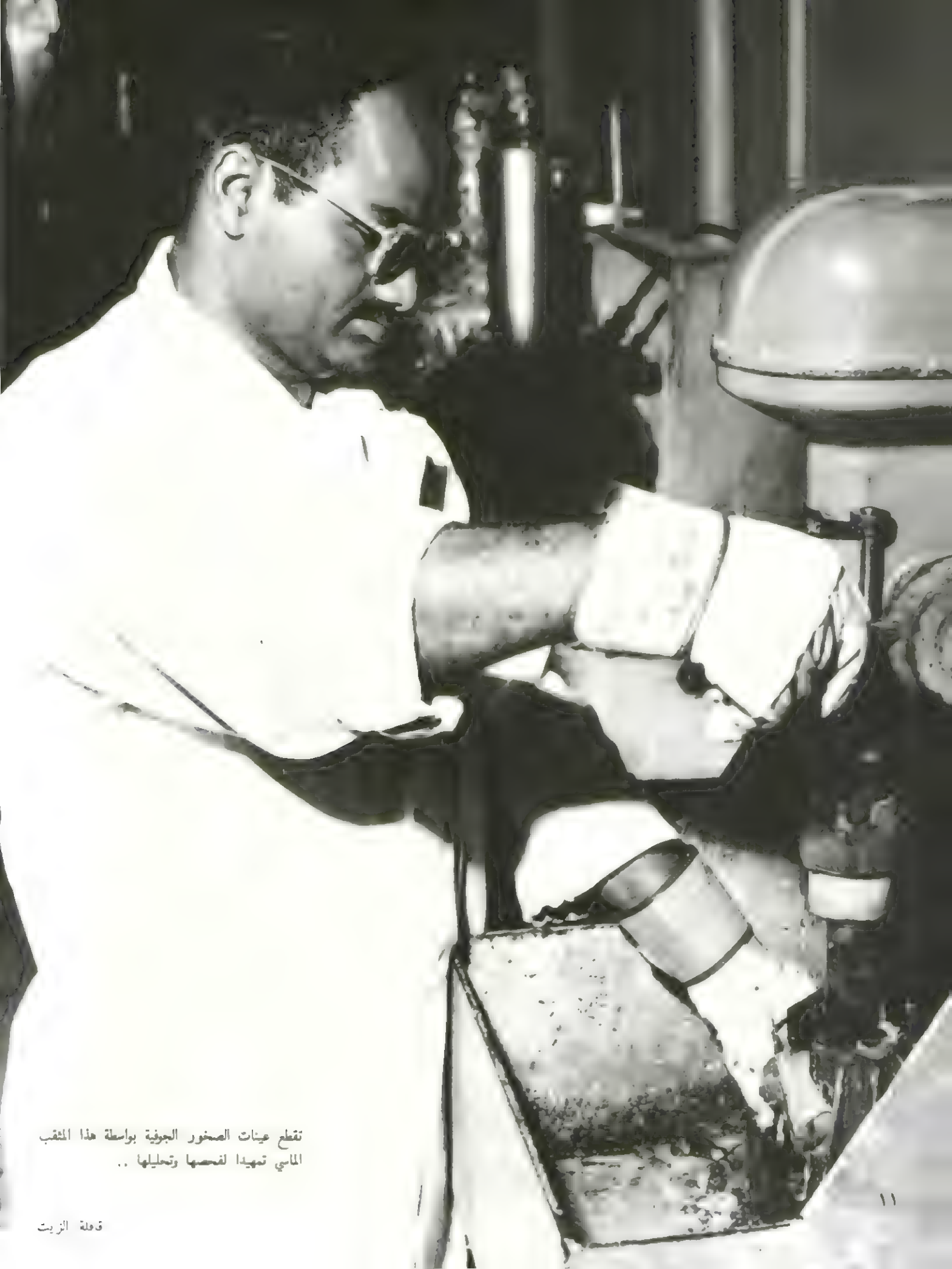
أ- مكن محدب .. وهو عبارة عن انثناء تصاعدي للصخور المسامية بشكل قبة تشبه طاسا مقلوبة تحت صخور غير مسامية .

ب- يمكن الزيت في عدة طبقات يعلو بعضها بعضها في الحقل الواحد أحيانا .

ج- مكن مصدع .. ويتمثل في انكسار في الطبقة الصخرية يسببه انسداد طبقة الصخور المسامية المنحرفة تصاعديا حيل طبقة غير مسامية ..

د- مكن طبقي .. ويتشكل عندما توجد طبقة من الصخور المسامية محصورة بين طبقات من الصخور غير المسامية .





تقطع عينات الصخور الجوفية بواسطة هذا المثقب
الماسي تمهيدا لفحصها وتحليلها ..

قوة الزيت

تكون المعادن في صخور مكامن الزيت تفصيليا ، ولا سيما الأساسية منها ، ثم يلي ذلك دراسة طبيعة تكون المعادن الثانوية وتأثيرها على درجتي المسامية والنفاذية لهذه الصخور . وكذلك يتم تحديد « التوزيع الحبيبي - Grain Distribution » لها . كما تتم دراسة أشكال الصخور وأحجامها المختلفة ومعرفة مدى تأثير كل ذلك على الانتاج . وتتم هذه الدراسات عادة باجراء سلسلة من الفحوص والتحليل المختبرية على عينات صخرية « Cores » تستخرج من باطن الأرض أو على فئات الصخر الذي يحصل عليه أثناء عملية الحفر . وقد يحتوي صخر مكامن الزيت على أكثر من طبقة حاملة للزيت يفصلها عن بعضها طبقة أو طبقات صخرية أخرى تكون في العادة صلبة ومتماسكة جدا . وقد يتواجد ، في بعض حقول الزيت ، أكثر من مكامن ، وعليه يمكن انتاج الزيت من مكامين مختلفين في الوقت نفسه من بئر واحدة .

ذكرنا فيما مضى ان صخور المكامن تتكون من صخور رملية أو جيرية ذات مسامية « Porosity » عالية ، قد تصل أحيانا الى ٣٠ بالمائة من حجم الصخر ، وذات نفاذية « Permeability » معتدلة .

والمسامية رياضيا هي عبارة عن الكسر العشري الناتج من قسمة مجموع حجم الفتحات والفجوات والمسامات الموجودة في الصخر على حجم الصخر الكلي . وفي هذه المسامات والفتحات يتجمع الزيت ، ولا سيما في أعلى التشكيل الجيولوجي اذا لم يكن هناك غاز طليق ، والا فان الزيت يكون متجمعا ما بين الغاز والماء . والنفاذية صفة مهمة جدا بالنسبة للصخور التي تتكون منها مكامن الزيت . وحينما تكون فجوات صخر المكامن ومساماته متصلة بعضها ببعض ومتماسكة فان ذلك يساعد على تدفق الزيت الى سطح الأرض ، وبالتالي يجعل الانتاج اقتصاديا . ويشار الى النفاذية على انها صفة يمكن بواسطتها تحديد معدل مرور السائل من خلال مسامات صخر المكامن تحت تأثير ضغط معين .. وقد تحتوي بعض صخور المكامن على

كميات ضخمة من الزيت بين فجواتها ، وتكون ذات مسامية عالية ، ولكن ما لم يكن هناك اتصال بين تلك الفجوات والمسامات ، فان الزيت يعجز عن التدفق من الصخر الى سطح بئر محفورة ، وبالتالي يتعذر على رجال الزيت انتاج كميات كبيرة منه لأن الزيت في هذه الحال يكون موزعا في كتل الصخر المتباعدة .. ويقال حينذاك ان درجة نفاذيته منخفضة .

يستدل مما سبق على ان وجود حقل للبترولا لا يعتمد فقط على وجود الزيت واكتشافه ، ولكن أيضا على وجود التشكيل الجيولوجي المناسب ، وعلى درجتي المسامية والنفاذية لصخور المكامن ، وكذلك على وجود صخر الغطاء « Cap Rock » في أعلى التشكيل وعلى جوانبه ، وذلك لمنع تسرب الزيت والغاز الى خارجه .

ان هذه التشكيلات الجيولوجية السالفة الذكر يطلق عليها اسم المصائد أو المحابس البترولية « Oil Traps » ، وهي توجد عادة على أشكال وحجوم مختلفة وأنواع متباينة وعلى أعماق تتراوح بين بضعة أمتار وبضعة أميال في باطن الأرض ، وقلما يكون هناك على سطح الأرض. أي دليل يشير الى وجود تشكيل جيولوجي يحتمل وجود الزيت فيه . وهذه المصائد أسماء عديدة مختلفة منها التشكيل القبوي أو المحذب « Anticline » وهو الذي يعتبر من أهم التشكيلات الجيولوجية في انتاج الزيت العالمي . وما تجدر الإشارة اليه هنا هو ان معظم مكامن الزيت في الشرق الأوسط من النوع القبوي ، ومثال ذلك حقول الزيت في كل من أبي حدرية والفاضلي وبقين بالملكة العربية السعودية ، وحقل البرقان في الكويت، وحقل كركوك في العراق . ومن المصائد الجيولوجية التي يتجمع فيها الزيت أيضا « الفوالق - Faults » وكذلك « المصائد الطبقيية - Stratigraphic Traps » و « الشعاب الجيرية - Reefs » .

ويمكن تقسيم المصائد البترولية الى ثلاثة أنواع رئيسية ، هي : المصائد التركيبية « Structural Traps » وهي أكثر المصائد وضوحا واستنتاجا على الخرائط الطبوغرافية التي تساعد مساعدة فعالة في الكشف عن الزيت والغاز . وتنشأ هذه المصائد من وجود تشوه محلي يصيب المكامن وصخر الغطاء ، وذلك بفعل بعض العوامل المحلية المغيرة للتكوين الأصلي. ومن هذه العوامل « الطي -

Folding » أو « التصدع - Faulting » أو كلاهما معا . وقد تنشأ المصائد (المحابس) أحيانا نتيجة تنوعات محلية تنبعث من صخور عميقة الأساس مخترقة الرواسب التي تعلوها ، وتوجد هذه التنوعات بكثرة في تجمعات الملح الصخري حيث تشكل قبايا محلية حابسة للزيت .

المصائد الطبقيية « Stratigraphic Traps » : وهي المصائد البترولية التي تتكون نتيجة للتغير الطبقي كالتغير السطحي ، أو نتيجة للتغير الصخري كالتفاوت في درجتي المسامية والنفاذية بين منطقة وأخرى من المناطق الصخرية الحاملة للزيت ، أو كلاهما معا . بيد أنه قد يطرأ على الطبقات الرسوبية تغير جانبي في خصائص تركيبها الحجري أو قد تتلاشى هذه الطبقات ، ونظهر من جديد في مكان آخر كنوع آخر من الصخور . وقد يتجمع الزيت أيضا في مصائد مكونة من كتل « رملية عدسية - Sand Lenses » محصورة حصرا تاما في رواسب محكمة التماسك. المصائد المختلطة « Combined Traps » : وهي المصائد التي تميز صفاتها الى ما بين المصائد التركيبية والمصائد الطبقيية . فقد تنشأ تجمعات الزيت في مصائد ذات صفات مختلطة ، وذلك لأنها نشأت باقتران اثنتين أو أكثر من هذه المصائد بعضها ببعض . غير ان بعض هذه المصائد يصعب التمييز بينها وقد تكون امتدادات بعض التشكيلات الجيولوجية على درجة من التعقيد أحيانا بحيث يضطر المهندسون لحفر عدة آبار قبل التأكد من احتمال وجود الزيت فيها .

تجمع الزيت والغاز

من المعروف علميا ان معظم الفجوات والفتحات والمسامات في صخور المكامن يكون مشبعا بالماء قبل تحرك الزيت والغاز واحلالهما محله . ويحدث ذلك نتيجة لما يتمتع به الزيت والغاز من خصائص طبيعية . فالوزن النوعي لكل من الزيت والغاز أخف من الوزن النوعي للماء . غير ان الماء يظل يشكل عاملا مهما ، في تحسين خواص صخور مكامن الزيت . فهو يذيب بعض العناصر الموجودة في الصخور الكلسية (الجيرية) أو الرملية ، وذلك بتحريكها من منطقة الى أخرى ، مما يؤدي الى زيادة درجة المسامية



رسامان جيولوجيان من قسم رسم الخرائط بأرامكو يستعرضان خريطة جيولوجية لمنطقة جرى مسحها . وهي من الخرائط التي تبين تكوينات الصخور وتشكيلاتها ، والتي يستعين بها مهندسو البترول في حقل البحث والتنقيب عن الزيت .

الكثيرة الانحناءات وإخراج الزيت منها . وهناك أيضا نظرية التعويم (أي بالنسبة للوزن النوعي) التي يتم بواسطتها تواجد الغاز في أعلى التشكيل الجيولوجي ، يليه الزيت فالماء . هذا ، ويمكن للزيت والغاز أن يجتمعا معا اذا كانت هنالك تكوينات تحوي مسامات يتصل بعضها ببعض أو شقوقا وفراغات ، وإذا كان يوجد في أعلى صخر المكمن تكوين أصم (مثل السجيل أو الأنهدريت) فإن السائل لا ينفذ من خلاله ، ويدعى هذا التكوين عندما يكون فوق صخر المكمن مباشرة بـ «صخر الغطاء» أو «صخر السقف» ، وأخيرا اذا كان هنالك حاجز اقفال أي تشكيل جيولوجي يمنع تسرب السوائل جانبا

وهناك مجموعتان من النظريات توضحان مرحلة تحرك أو انتقال الزيت ، وتعزو إحدى هاتين المجموعتين تحرك البترول مع المياه الجوفية خلال سريانها في الأعماق من تشكيل إلى آخر ، إلى وجود كميات صغيرة من الزيت والغاز في مياه بعض الينابيع ، مما يجعل في مقدور المياه أن تحمل الزيت والغاز معا مذابين فيها تحت ضغط عالية . وأما المجموعة الثانية من النظريات فأنها تعزو تحرك الزيت والغاز لقوة دفعها الذاتية ، غير أن واحدة من هذه المجموعة من النظريات تعزو هذا التحرك إلى الخاصية الشعرية والتوتر السطحي والذي بموجبه يتم دفع الماء إلى المسامات الضيقة

في الصخر ، وبالتالي إلى الحفاظ على وجود اتصال مستمر بين فجوات الصخور مما يسهل تدفق الزيت وحركته .. ويطلق على المرحلة التي تبدأ فيها المواد الهيدروكربونية بالتحرك من الصخر الأم Source Rock إلى صخر المكمن ، اسم «التحرك الأولي - Primary Migration» ، وأما التحرك الأخير الذي يتم فيه تركيز وتجميع هذه المواد في أحواض ضخمة فيطلق عليه اسم «التحرك الثانوي - Secondary Migration» ، وقد يكون اتجاه هذا الانتقال أو التحرك رأسيا أو جانبيا عبر مسافات تتراوح بين جزء من الميل الواحد وعدة أميال .

الاستكشاف والتنقيب

كأن يكون صخر المكنن وصخر الغطاء في شكل مقعر بالنسبة الى الناظر اليه من أسفل .

لقد كانت نظرة رجال الزيت ، في مستهل ظهور هذه الصناعة الى حيز الوجود ، الى استغلال آبار الزيت نظرة محدودة . فقد كان يتم حفر آبار الزيت ، واذا ما تدفق الى السطح كان يجري انتاجه بأعلى طاقة ممكنة . وعندما كان هذا الانتاج يقل ، تثبت المضخات على فوهة البئر لتعمل على زيادة الانتاج ، وحالما تصبح هذه العمليات غير اقتصادية فانها توقف ، يأخذ العاملون على الانتاج في البحث عن حقول أخرى جديدة ، حيث يتم حفر آبار جديدة ، وهكذا . مع العلم أن معظم الزيت الموجود في المكنن الأول لم يستغل استغلالا كاملا نظرا لعدم توفر الوسائل الفنية حينذاك ، وبذلك يبقى الزيت في الأعماق بانتظار محاولات فنية جديدة تستهدف رفع مستوى الضغط في المكنن ، وذلك بواسطة حقن الماء والغاز وغير ذلك من العمليات .

لقد توصل المهندسون والجيولوجيون العاملون في صناعة النفط خلال الثلاثين سنة الماضية ، الى تقدير كميات الزيت والغاز الموجودة في أي مكنن جوفي بدقة كبيرة ، ويتوقف الحصول على هذه الكميات من الزيت والغاز على عدد الفجوات والمسامات الموجودة في صخر المكنن ، وطبيعتها وأستمرارية اتصالها بعضها ببعض ، وكذلك على التشكيل الطبيعي والكيميائي للصخور . كما يعتمد ذلك على تشكيلات صخر المكنن في حقل البترول لهذا أو ذاك . وكذلك يعتمد على القوى الطبيعية الموجودة أو التي يمكن ايجادها لدفع الغاز أو الزيت وتحريكهما من خلال المسامات الصخرية ، وعلى كمية المياه الجوفية التي تتواجد في جميع صخور المكنن . وتكون في العادة مرافقة لتحركات الزيت وانتقالاته من منطقة الى أخرى في أوائل تكوينه . وأخيرا فان كمية الزيت والغاز التي يمكن انتاجها من أي مكنن ، تعتمد أيضا على الصفات الطبيعية والكيميائية للزيت والغاز على حد سواء .

براسب تجمعت منذ القدم ، فقد يكون من المتعذر على الوسائل الجيولوجية الكشف عن هذه التشكيلات .. وفي هذه الحال يلجأ الى استخدام الوسائل الجيوفيزيائية لا سيما في الأماكن التي لا يدل ظاهرها على وجود تشكيل جيولوجي في باطنها ، مثل الصحاري والمستنقعات . ولعل من أهم هذه الوسائل الجيوفيزيائية المتبعة في مجال البحث عن تشكيلات الصخور التي يحتمل وجود الزيت فيها : طريقة قياس الجاذبية ، وطريقة قياس المغناطيسية ، وطريقة التفجير الزلزالي لقياس الاهتزازات الأرضية اما بتسجيل الانعكاسات ، أو الانكسارات الصوتية ، ثم الطرق الكهربائية .

وعند دراسة المعلومات التي تم جمعها في منطقة معينة ، يبدأ بوضع الخرائط المختلفة لتكوينات الصخور وتشكيلاتها ، وذلك تمهيدا للبحث عن التشكيل الجيولوجي الذي يحتمل وجود الزيت فيه . ومن بين الخرائط الأساسية التي يعدها الرسامون الجيولوجيون لأي منطقة جرى مسحها ، الخرائط الانشائية (البنائية) للصخور وقطاعاتها ، وخرائط تحديد سمك الطبقات ، والخرائط الجيوكيميائية أو الجيوفيزيائية ، وخرائط اختلاف الميزات الحجرية ، وغيرها من الخرائط التي يستعين بها مهندسو البترول في حقل البحث والتنقيب . وهما يكن من أمر فان اللجوء الى حفر آبار استكشافية، عملية لا بد منها للتأكد من وجود تشكيلات جيولوجية حاملة للزيت . فبعد أن يقرر المنقبون الموقع الملائم للحفر يباشرو في عملية الحفر ، واذا ما تبين لهم أن هذه البئر غنية بالزيت وأن عملية الانتاج منها اقتصادية أطلقوا عليها اسم « بئر الاكتشاف » . وكثيرا ما يصاب الحفارون بخيبة أمل في أعقاب عملية الحفر بعد أن يتبين لهم عقم محاولاتهم فتذهب جهودهم المضيئة مع أدراج الرياح ، دون ما جدوى فيجددون محاولاتهم في مناطق أخرى بحثا عن الزيت ■

تنحصر المهمة الرئيسية لطرق الاستكشاف في مجال البحث عن الزيت في الحصول على الحقائق والدلائل الطبيعية للظواهر الجيولوجية التي تقترن بتجمعات الزيت . ومن هذه الأساليب والوسائل ما يتم تطبيقها على سطح الأرض ، ومنها ما يتم تحت سطح الأرض . فقبل البدء في التنقيب في مساحة ما يجري تصوير هذه المنطقة من الجو ، حيث تلتقط صور عديدة ومتداخلة . وعلى ضوء دراسة هذه الصور دراسة مجسمة يتم وضع خريطة طبوغرافية لتضاريس السطح في تلك المنطقة ، ومنها توضع خريطة جيولوجية تبين ملامح السطح الجيولوجية التي يمكن مشاهدتها من الجو . ولذلك فانه لم يعد هناك سبب يحمل المساحين أو الجيولوجيين على التخبط في الصحاري أو الأدغال من أجل التنقيب عن الزيت ، كما كان الأمر في الماضي . ولقد بلغت فائدة المسح الجوي هذا حدا أصبح معه من المعتاد اعادة تصوير المناطق التي جرت فيها عملية الاستكشاف ، وذلك من أجل تقييمها ثانية .

فمن هذه المعايينات والدراسات التي تجرى على سطح الأرض يعمد الرسامون الى وضع خرائط جيولوجية دقيقة لتتوات الصخور في المنطقة المعنية . وتضم هذه الخرائط معلومات وافية عن منحدرات الجبال وشفاف الأنهار ، ومقدار ميل طبقات الصخور « DIP » . وبالإضافة الى هذه المعلومات تسجل الخصائص الطبيعية للصخور ، وتؤخذ منها عينات مختلفة لتحليلها ودراستها . أما في المناطق المغطاة بالرواسب السطحية ، حيث تكون الدلائل الطبيعية للظواهر السطحية فيها نادرة أو غامضة ، فان الجيولوجيين يلجأون عادة الى حفر عدد من الحفر والتقيب على أعماق متفاوتة لاستخراج مقاطع جوفية من الصخر ، وذلك بغية دراستها ومعاينتها ، وتحليل خصائصها . وعندما تكون التشكيلات الجيولوجية مغطاة

تصوير : عبد اللطيف يوسف ، وشيخ أمين

سَمُوْتُ مِنَ الْفُكَاةِ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ

بقلم الأستاذ الراحل محمود الشرفاوي

وقد قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لحنظلة : « ساعة وساعة » . ويقول الامام علي رضي الله عنه : « رَوَّحُوا الْقُلُوبَ تَعِ الذِّكْرَ » ويقول ابنه الحسن : « هذه القلوب تحيي وتموت ، فاذا حييت فاحملوها على الناقله ، واذا ماتت فاحملوها على القريضة » .

وابن عباس ، ويسمونه ترجمان القرآن ، كان اذا جلس مع أصحابه حديثهم ساعة ، ثم قال : حمضونا ، فيأخذ في أحاديث العرب ، ثم يعود يفعل ذلك مرارا ، ثم يقول لأصحابه : « هاتوا من شعركم هاتوا من حديثكم فان الأذن مجاعة والقلب حيض » .

وكان الزهري يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول : « هاتوا من طرفكم ، هاتوا من أشعاركم ، أفيضوا في بعض ما يخفف عليكم وتأنس به طباعكم ، فان الأذن مجاعة والقلب ذو تقلب » .

والامام « ابن الجوزي » ، المحدث والفقيه ، كان يقول : « ان النفس قد تمل من الدؤوب في الجد ، وترتاح الى بعض المباح من اللهو . »

هنا في الحياة الأدبية ، كما في الحياة نفسها . ألوان من العبث منها « المجون » ، وهو كما يقول الصحاح والقاموس « ألا يبالي الانسان بما يصنع أو يقول » ، ومنها « المزح » وهو الدعابة والفكاهة ، يقال : « فكه الرجل من باب سلم فهو فكاه اذا كان طيب القلب مزاحا » . « .. أو يحدث أصحابه فيضحكهم » ، ولعل أصله ، كما أشار القاموس المحيط ، من تلون العنب ، ومزح العنب يمزح : لون .

وليس مما يعيب الكاتب أو الرجل أن يكتب أو يقرأ من هذه الفكاهة شيئا ، بل ان الأدب العربي فيه شيء كثير من هذه المفاكهات شعرا ونثرا تناقله الأديباء وتحدثوا به ودونوه . ليس ذلك معيبا ولا مسقطا لقدر الرجل ما دام لا يخرج به عن الحد ، والمثل العربي القديم يقول « كل شيء اذا زاد عن حده ، انقلب الى ضده » ، بل لعل في قليل من المزح جلاء العقل ، كما قال أبو فراس :

أروح القلب ببعض الهزل تجاهلا مني بغير جهل
أمزح مزح أهل الفضل والمزح أحيانا جلاء العقل

وقد ألف الامام « ابن الجوزي » في القرن السادس الهجري كتابا كله فكاهة وملح سماه « أخبار الحمقى والمغفلين » .

وعند الجاحظ ، في كتابه « البيان والتبيين » ، وغيره — نجد فصولا جميلة شيقة من هذا الهزل الذي يروح القلب ، ولا يخذل الكرامة ، والذي فيه جلاء العقل .

وألف بهاء الدين العاملي كتابا أيضا أسماه « الكشكول » كما ألف شهاب الدين الأبشهي كتابا آخر مماثلا سماه « المستطرف في كل فن مستظرف » . ولكن كتب « أخبار الحمقى والمغفلين » ، « وفكاهة الخلفاء وفكاهة الظرفاء » و « الكشكول » و « المستطرف » وما يماثل ذلك لا أجد أنها تدخل في باب الأدب ، بل هي أخبار ونوادر ، بعضها صحيح ، وبعضها موضوع ، وبعضها يتزبد فيه ، وليس فيها شيء من المهوبة الفنية ، إلا أن تكون في هذه الزيادة التي لا بد أن يكون مزيدها فيه كثير من الذكاء والفهم وعلى قدر غير قليل من المهوبة الأدبية والفنية .

فشا الترف في عهد العباسيين كان لذلك أثره في ظهور كثير من شعراء المجون ، ومنهم بشار بن برد الذي نظم الناس منه . والذي قال مالك ابن دينار عنه : « ما شيء أدعى لأهل هذه المدينة إلى القسق من أشعار هذا الأعمى الملحد » وانتهى المجون بشار إلى أن أمر به الخليفة المهدي ف ضرب بالسوط حتى هلك . (١)

وفيما يلي أمثلة على شيء من الفكاهة في الأدب العربي :
حكى بشار بن برد الشاعر الغزل الضريع أنه كان يملك حمارا فمات ، ثم رآه بشار في المنام ، فقال له : ويحك أما الذي أمانتك ؟ .. فأجابه الحمار : لأنك ركبتني يوما وكذا ففرنا بباب الأصهباني فأريت « أنا » جميلة عند بابي ، فعشقتني فقتلني حبها ، ثم أنشد بشار على لسان حماره :
سدي شمت أنا
عند باب الأصهباني
تيمني يوم رحنا
بشايها الحسان
وبغنيج ودلال
سل جسمي وبرانني
ولها غمد أسيل
مثل غمد الشيفراني
فقال له واحد من القوم : يا أبا معاذ : ما هو « الشيفراني » ، قال هو من لغة الحمير ، فاذا لقيتم حمارا فاسألوه .. !

وروي عن شاعر أكل أنه جلس إلى طعام مع امرأة فجعل جوارها والأكل معها ذريعة إلى إشباع شراسته ، حيث كان يستوعب الطعام كله ويهوي بيده سريعا حتى ينال أكبر نصيب منه ثم قال هذا الشعر :
وان طعاما ضم كفتي وكفها
لعمرك عندي في الحياة مبارك
فمن أجلها أستوعب الزاد كله
ومن أجلها تهوي يدي فتدارك (٢)

والتصنيف ، وهو التغير والتبديل ، هو أن تكتب الكلمة أو تنطق وموضعها ، ويكثر ذلك في الاسم الثلاثي . وذكر علماء اللغة أمثلة لتصنيف اسم ثلاثي واحد إلى ثلاثين رسما منها هذه الكلمات : بنت ، نبت ، بيت ، نيب ، ييب ، ثيب .. الخ .

هذا التبديل والتغير ، ولو بنقطة ، ينقل الكلمة وينقل المعنى إلى معنى آخر . وكثيرا ما يكون هذا المعنى الآخر ماثرا للسخرية والاضحاك ، كما قد يكون سببا للمأسي وفواجع .

ومن التصحيف الذي يثير الضحك هذه الأبيات التي هجا بها أبو نواس « أبانا » بن عبد الحميد اللاحقي ؟

صحفت أملك اذ سمتك في المهد أبانا
صيرت « باء » مكان التاء فالله أعانا
قد علمنا ما أردت لم ترد إلا أنا

ولم يترك أبان « أبانا نواس » دون جواب ، فقال فيه هجاء كثيرا منه هذان البيتان : على طريقة التصحيف أيضا :

حنفتي رأيتني في ضلال من الكرم
زد على « الحاء » نقطة وارفع النون بالقلم
ومن التصحيف الجيد قول أبي نواس :

يا لابس الشنف الذي من أجله قلبي على شرف المهالك مشرف
« الشنف » في التصحيف سيف مرهف والشنف مثل السيف حين يصحف (٣)
واللحن في ذاته خفيف الوقع على السمع مقبول مستظرف .

يقول الجاحظ : « يستظرف من الجارية أن تكون غير فصيحة وأن يعترى منطقها اللحن » . ويقول « مالك بن أسماء ابن خارجة » يصف جارية :

منطق رائع وتلحن أحيانا ، وغير الكلام ما كان لحنا
ويقول ابن دريد : ليس اللحن هنا التصحيف بل أنها تتكلم بالشيء وهي تريد غيره من ذكائها وفطنتها . واعتقد أن كلا الأمرين من الجارية مليح مستظرف .

وتحدث « أبو حاتم الجستاني » ، الامام النحوي عن نفسه أنه كان يقرأ على الأصمعي شعرا للمتلئس فقرأ منه هذا البيت :
أغيت شاني فأغنا اليوم شأنكم واستحمقوا من مراس الحوب أو كيسوا
فقال : أغيت شاني « بالتاء بدلا من الهمزة » وأسرع الأصمعي فأنم البيت بقوله : فأغنا اليوم شأنكم .. مشيرا إلى أبي حاتم ، فضحك الحاضرون .

وكان التصحيف سببا في اضحاك الخليفة المأمون من وزيره أحمد بن أبي خالد الأحول ، وكان « الأحول » يقرأ على المأمون رقايع المظالم ، قرأ الوزير رقعة وقعها مشتك اسمه « اليزيدي » فقرأها الأحول « اليزيدي » فضحك « المأمون » وذكر ما كان يعرف من شراة وزيره للطعام فقال : أبو العباس جائع هاتوا له ثريدة ، فحضرت وأكلها « الأحول » ، ثم استأنف القراءة للمأمون وقرأ رقعة عليها توقيع « الحمص » فقرأه « الخبيص » فضحك « المأمون » وقال : كان غداء أبي العباس غير كاف ، لا بد للثريدة أن تتبع بخبيصة ، وأحضرت الخبيصة فأكره على أكلها .

وتصحيف الكلمات في الشعر والنثر ، كما يثير الضحك ، قد يسبب المضرة ، ومن ذلك أن الطبيب العربي الكبير « حنين بن اسحق » كان يحتاط في كتابة التشابه من أسماء الأدوية ، « فيكتب » السعتر

« بالصاد » « الصعتر » ويقول : أخاف أن يقرأ « الشعير » فيصير به الدواء داء .

ومن الشعراء المغرمين بالتصنيف واتخاذهم وسيلة إلى الذم والهزل والسخرية « ابن الرومي » فمن قوله في القيان :

لا تلح من تفننه « قينة » فان تصحيف اسمها « فتنة » ويقول فيمن اسمه « هرثمة » :

عائد دهره ، اذا سطع النقع ، بمعنى مصحف اسم أبيه وتصحيف « هرثمة » هو « هزيمة » .

رسائل فكهة :

وفي الأدب العربي القديم نجد رسائل كثيرة القيمة في الفكاهة والهزل والاضحاح ، من أشهرها « الرسالة الهزلية » لابن زيدون ، وهذه الرسالة قصة ، فقد كان ابن زيدون يناقش الوزير « ابن عبدوس » في صلته بالولادة « بنت المستكفي » آخر خلفاء الأمويين ، وأراد الوزير أن يغلبه فأرسل إلى « الولادة » امرأة تجالسها وتحدثها عنه ، وتشيد بالذكر في فضائله ومحاسنه ، وعلم « ابن زيدون » بذلك فأراد أن يعكس عليه الأمر فوضع رسالته تلك على لسان « الولادة » يسخر فيها « بابن عبدوس » ويفرط في ذمه ، وبعث بالرسالة إلى الوزير عقب خروج المرأة من عنده كأن « الولادة » هي التي كتبها ، وكان لذلك أبلغ الأثر في نفس « ابن عبدوس » وتوثقت الصلة بين « الولادة » و « ابن زيدون » .

ومن أشهر هذه الرسائل « مثالب الوزيرين » التي ألفها « أبو حيّان التوحيدي » في ذم « ابن عباد » و « ابن العميد » .

ولعل أشهر رسائل السخرية والفكاهة هذه رسالة « الترييع والتدوير » « للجاحظ » .

و « الجاحظ » كاتب ذو قدرة فائقة على السخرية والاضحاح . نجد ذلك واضحا في كتابه « البخلاء » خاصة ، وفي كثير من رسائله حتى ما كان منها بعيدا عن الصبغة الأدبية ، مثل كتابه وكتبه « الحيوان » .

ومن فكاهته التي رواها في البيان والتبيين « أنه قيل لأعرابي . ما اسم المرق عندكم فقال : السخين » ، قيل له : فما اسمه اذا برد ؟ قال الاعرابي : لا تركه حتى يبرد ...

ومنها أن رجلين أحمرقن صارا في طريق فقال واحد منهما للآخر : اني أرجو الله أن يهني قطيعا من الغنم أنضع بلبنها ولحمها وصوفها ، فقال صاحبه : وأنا أرجو الله أن يهني قطيعا من الذئب أرسلها على غنمك حتى لا تترك منها شيئا ، وتخاصما ثم اتفقا على أن يحتكما إلى أول القادمين ، فالتقى بهما رجل يركب حمارا وعليه زقتان من العسل فطلبا إليه أن يحكم بينهما ، فلما سمع قصتهما نزل عن حماره وأنزل زقي العسل فأسالهما على الأرض وهو يقول أسأل الله دمي مثل هذا العسل ان لم تكونا أحمرقين .

ورسالة « الترييع والتدوير » كتبها « الجاحظ » يسخر فيها من « أحمد ابن عبد الوهاب » ويستشهد فيها بكثير من الشعر مثل قوله :

لنا صاحب مولع بالخلاف كثير المرء قليل الصواب
ألج لجاجا من الخنفساء وأزهى اذا ما مشى من غروب
ويصف فيها « أحمد ابن عبد الوهاب » هذا بأنه مفرط القصر ، ويدّعي أنه مفرط الطول ، وكان مربعا تحسبه ، لسعة جفرت « جنبية » واستفاضة خاصرته ، مدورا ، وكان جعد الأطراف قصير الأصابع ، وهو مع ذلك يدعي البساطة والرشاقة ، وانه عتيق الوجه أخمص البطن معتدل القامة تام العظم .. الخ .

والى « الجاحظ » ورسائله تلك نجد « أبا حيّان التوحيدي » نظير « الجاحظ » في الكتابة وحب الفكاهة والاضحاح ونجد كتابه « الامتاع والموانسة » وما فيه من فكاهة وظرف . ومن قصص « الامتاع » قصة واحدة تحدث بها « أبو حيّان » : وهي : « ضم عثمان ابن رواح السفر ورفيقا له ، وقال له الرفيق : امض الى السوق فاشتر لنا لحما » قال : « والله ما أقدر ، قال : فمضى الرفيق واشترى اللحم ، ثم قال لعثمان قم الآن فاطبخ القدر قال والله ما أقدر ، فطبخها الرفيق ثم قال قم الآن فكل فقال : « والله لقد استحييت من كثرة خلافي عليك ولولا ذلك ما فعلت » . وما ذكر في نصيحة بخيل لصاحبه : اذا حدثت على المائدة فلا ترد في الجواب على نعم فانك تكون بها مؤنسا لصاحبك « مسيغا للقميتك ، ومقبلا على شأنك » .

والشعراء نجد « ابن الرومي » صاحب موهبة قادرة على الاضحاح والسخرية . وكما له في ذلك من الصور الباردة . وقد رأينا شيئا من ذلك فيما سبق .

ويقول في وصف بخيل يحرض على الرغيف حتى يجعله مساويا لحياته : يمسك برغيفه هذا يقلبه بين يديه ويداعبه كأنه ابن له عزيز ويضعه في كفه ، ثم يخرجها ، فيخاطبه كأنه صاحب جليس ، ومن حاول أن يطلب رغيفه هذا فقد عرّض نفسه للهلاك والتلف ولو كان جاعا مسكينا .

يقول ابن الرومي :

رغيف « سعيد » عنده عدل نفسه يقلّبه طورا وطورا يلاعبه
ويخرجه من كفه فيشتمه ويجلسه في حجره ويخاطبه
فان جاءه المسكين يطلب مطعما فقد ثكثته أمه وأقاربه
ومن صورته الرائعة قوله في بخيل اسمه عيسى :

يقتّر عيسى على نفسه وليس بباقي ولا خالد
ولو استطيع لتقتيره تنفس من منخر واحد
وقوله في مغنية قبيحة الصوت :

صوتها بالقلوب غير رفيق بل له بالقلوب عنف وبطش
فاذا رفقته بالجهد منها خلت في حلقتها شعيراً يجش .. !
ومن أبرع الصور الفكاهية التي تمثل في شعر ابن الرومي وصفه لرجل أحذب :

قصرت أخادعه وغار قذاله (٤) فكأنه متربص أن يصفعا
وكانما صفتت قفاه مرة وأحسن ثانية لها ، فتجمعا ■

الإنسان فوق القمر

للشاعر محمود عارف

وبالعيان أراه قباب اشراق
حقيقة ، تعني من غير انصاف
من الحضارة ، فازهرت بأخلاق
نمخض اليوم عن سبق وانحاف
قمر القضاء .. محال الكائن الطاق
حقائقنا ، جردت من زيف اوجاف
لواقع العلم من أحلام عراف
كشف الحقيقة في اسرار كشاف
لكن تطويره زمن بأرشاف
ظواهر الكون ، في أبعاد اكشاف
فقاعة الهم ، في صلصال حراف
تحققت مثلا ، في شكل أهداف
عند الحصف ، على محصوله الكافي
صاغ العقول ، بتقدير وانصاف
أمت «مالكه» دريا لطراف
حيث امتطوا جررا في أفقه الصافي
يفي «الخيال» بتصوير وأوصاف
من العمال ، «لمحبوب» هو الوافي
حباب «الخيال» وفاز «العقل» بالخالفي

يا من تخيلته ، كالسدر متعمدا
العلم حقق «للإنسان» منجزة
توقع العقل للأخلاق مرحلة
ما كان في سابق الأزمان قوقعة
والباقيون هم الرواد قد وطنوا
هذا هو العلم في فحواه ثملي
والشمس حائرة تروى على مضض
والعلم بالعقل منغل وغايته
ونتهى العلم لا يدري به أحد
يا فرحة العلم ، بالعقل المدد في
نام الخيال أمام العقل واظلمت
وما الخيال سوى أشباح معرفة
عراق الكون قد ظلمت مبطة
الله خالق هذا الكون مقتدر
هذا هو «القمر» المجهول شاطئه
فالعلم حقق «للرواد» منجزة
مهما تخيل فيه «الشاعرون» فلا
قد كان منرجا ، للشع في صور
واليوم أصبح دينا في جوانبها

أُسْرِعْ مِنَ الضَّوءِ

بقلم الاستاذ نغولا شاهين

الانسان منذ القدم أن سرعة الضوء تفوق سرعة الصوت ، وذلك من خلال مشاهدة البرق الذي يرافق قصف الرعد ، أو من خلال مشاهدة الدخان الذي يسبق صوت أي انفجار .

كان الاعتقاد السائد قديما أن الضوء ينتقل على الفور من مكان صدوره الى مكان وصوله ، وهذا مغاير لمفاهيم العقل الذي حار في تفسير هذا الأمر ، فسَلِمَ به مكرها . لكن العلماء لم يكفوا عن مواصلة دراساتهم وتحريهم عن الحقائق المجردة . لذلك نرى أن العالم « غليليو » قام بتجربة لقياس سرعة الضوء .

وقد عمد « غليليو » الى هذه التجربة لأن الأبحاث النظرية آنذاك لم تكن كافية لتقرير هذا الأمر ، فوضع التصميم لذلك ، وقام مجلس العلوم بتنفيذه ، بعد أن عهد الى فثنين من الرجال مجهزين بمصاييح ذات نوافذ يسهل اقفالها ، وتتلخص هذه التجربة في أن وقفت احدى الفئتين على تلة مقابل تلة أخرى حيث كانت الفتحة الثانية ، وكان يفصل بينهما واد . كما كانت المسافة بين الفئتين لا تتعدى بضعة كيلومترات . وعندما أرنخى الليل سدوله ، أضيئت المصاييح وبقيت نوافذها مغلقة ، وبعد ذلك أعطيت الإشارة ، لرفع الستار عن مصباح احدى الفئتين حتى تتمكن الفرقة الأخرى من مشاهدة الضوء . فلما وصلت الإشارة الضوئية الى الفرقة الثانية ، رفعت هذه الأخيرة الستار عن مصباحها فانطلق ضوءه الى الفرقة الأولى حيث قامت الفتحة الأولى

وعندما ظهرت السيارات في انكلترا لأول مرة ، رافقها قرار من مجلس النواب مفاده أن كل سيارة يجب أن يصطحبها ثلاثة أشخاص ، واحد منهم يسير أمامها ممسكا بيده علما أحمر ، وحددت السرعة القصوى بستة كيلومترات في الساعة ، على أن لا تتعدى ثلاثة كيلومترات في المناطق السكنية .

أما اليوم فقد تمكن الانسان في رحلته الى القمر من التوصل الى سرعة مقدارها ٤٠٠٠٠ كيلومتر في الساعة للتغلب على جاذبية الأرض . وها هو يحلم اليوم بالوصول الى ما يقرب من سرعة الضوء أي نحو ٣٠٠٠٠٠ كيلومتر في الثانية للقيام برحلاته في الفضاء الخارجي .

غليليو يحاول قياس سرعة الضوء

لم يكن قياس سرعة الصوت أمراً صعباً ، لأنه عملية تدخل في نطاق الوسائل التي يملكها الانسان العادي . فاذا أحدث انسان صوتاً ، وهو واقف أمام بناية كبيرة أو تلة ، فانه يسمع صدى ذلك الصوت بسهولة . ولكي يعرف مقدار سرعة الصوت فما عليه الا أن يقيس المسافة بينه وبين الجسم الماكس ذهاباً وإياباً ، وان يقسم ذلك على الزمن الذي استغرقه الصوت في قطع تلك المسافة ، فيحصل بذلك على سرعة الصوت . وهذا ما يفعله طلاب المدارس عادة في المختبرات لقياس سرعة الصوت ، ولكن بطرق أخرى . وقد أدرك

الانسان خلال فترة قصيرة من الزمن لا تزيد على ٧٥ عاماً انتصارات مذهلة في حقل السرعة . فالتطورات اليوم تجوب رحاب الفضاء بسرعة تقرب من ثلاثة أضعاف سرعة الصوت ، أي نحو ٣٠٠٠ كيلومتر في الساعة ، وبذلك تقلصت المسافات بشكل هائل . فبعد أن كان المسافرون يقضون أشهراً للوصول الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج فانهم اليوم يستطيعون القيام بذلك في بضعة ساعات . ولم يعد من داع لحسد الطيور في انتقالها بسهولة من مكان الى آخر ، كما يقول الشاعر :

بكيت على سرب القطا اذ هرون بي
فقلت ومثلي بالبكاء جديرو

أسرب القطا هل من يعير جناحه
لعلني الى من قد هويت أطير
وفي بادىء ذي بدء لم يكن من السهل على الانسان أن يقبل فكرة السرعة في الانتقال ، لأسباب نفسية أو سياسية أو اجتماعية . وقد روي أن شركة أوروبية تقدمت الى أحد ملوك الصين لإنشاء خط للسكة الحديد ، تربط جنوب البلاد بشمالها ، ولم يكن من السهل اقناع المسؤولين بفوائد هذا المشروع . فبدأ لأحد أعضاء الشركة أن يشدد على اختصار الوقت أثناء السفر من جنوب البلاد الى شمالها ، فيصبح ذلك أربعين ساعة بدلا من أربعين يوما ، فأجابه الملك قائلا :
وماذا نفعل بما يتبقى لنا من الوقت ؟



حزمة من الضوء أثناء سقوطها على سطح قطعة من الزجاج متوازية الجوانب ، حيث انعكس جزء منها بينما اختراق الجزء الباقي من الأشعة قطعة الزجاج كما يظهر في الرسم .

أخذت هذه الصورة في حجرة خاصة تعرف بحجرة الفقائيع حيث تظهر مسارات بعض الميزونات والبروتونات التي تكونت نتيجة تصادم حدث بين ميزون وپروتون .. وبذلك يمكن قياس سرعة جسيم ما عن طريق عدد الفقائيع المحدثه في وحدة الطول على الماء ..



بتعيين الوقت بين ارسال اشارتها الضوئية ووصول الاشارة من الفئة الثانية بواسطة ساعة رملية . غير أن « غليليو » ومساعديه لم يكونوا على علم بأن سرعة الضوء تنقله حول الأرض نحو ٨ مرات في الثانية الواحدة . وكان من نتيجة ذلك أن استخلصوا من مقاييسهم البدائية أن سرعة الضوء لا حد لها .

رويمر يتوصل الى قياس سرعة الضوء

بعد مضي أربع وثلاثين سنة على موت « غليليو » ، ظهر أول برهان على أن للضوء سرعة محدودة ، وكان ذلك عن طريق دراسات فلكية قام بها العالم الدانمركي « رويمر » عام ١٦٧٦ م . وكانت المراقب في ذلك الوقت قد كشفت عن أن للكوكب السيار « المشتري » ، أربعة أقمار على الأقل ، تدور حوله ، وأن لكل من هذه الأقمار دورته الخاصة . ومع تقدم صناعة المراقب في عصرنا الحاضر ، تبين أن عدد الأقمار التابعة للكوكب السيار المشتري اثنا عشر قمرا .

لم يكن لدى البحارة في أيام « غليليو » ، ساعات دقيقة تساعدهم على معرفة الطول الجغرافي في أسفارهم . فبدأ لغليليو أن أحد الأقمار التي كان قد اكتشفها ، يصلح لأن يكون ساعة فلكية لأغراض الملاحة البحرية ، إذ أن هذا القمر يدور في فلكه كعقرب الساعة ، ومن السهل تحديد دورته ، وذلك بمراقبة دخوله في ظل الكوكب السيار المشتري واختفائه وراءه . ولكي تصبح هذه الساعة الفلكية مجدية عمليا ، كان لا بد من حساب الوقت النجمي لخسوف هذا القمر ، الأمر الذي اكتشفه « كاسيني » ، مدير مرصد باريس ، بالتعاون مع مساعده « أولف رويمر » الذي قام بدوره بجمع المعلومات اللازمة وتفسيرها ، ومن هنا أصبح لدى العلماء بريق أمل في قياس سرعة الضوء بشكل مقبول في الأوساط العلمية لأول مرة .

هذا وقد تبين « لرويمر » أثناء دراسته للدورات أقمار الكوكب السيار « المشتري » وخسوفاتها ، أن هذه الخسوفات تحدث في فترات منتظمة ، وإن أشدها لمعانا يلبور في فلكه مرة كل سبعة أيام تقريبا ، ونتيجة لهذه الظاهرة يحدث خسوف أثناء هذه للدورة . وعندما دقق في الأزمنة التي تتم فيها الخسوفات ، وجد أنها تحدث في أوقات

تختلف عن المعدل ، وذلك حسب وضع الأرض من « المشتري » . فعندما يكون المشتري والأرض على جهة واحدة بالنسبة الى الشمس يكون زمن الخسوف أقصر مما يكون عليه عندما تكون الشمس بين الأرض والمشتري ، بمقدار ١٦ دقيقة و ٤٠ ثانية .

وقد نسب « رويمر » هذا الفرق في الزمن الى الوقت الذي يحتاجه الضوء للانتقال عبر فلك الأرض ، وهذا أمر لم يكن معروفا تماما في تلك الأيام . ونتيجة لذلك كانت سرعة الضوء كما عينها « رويمر » تزيد على ما هو معروف اليوم في الأوساط العلمية بثلاثة في المائة فقط .

لقد جذب « نيوتن » و « هوجنس » هذه النتيجة ، لكن « ديكارت » العالم الرياضي ، أصر على أن سرعة الضوء غير محدودة ، وأن الضوء ينتقل فورا من مكان الى آخر دون مراعاة الزمن .

ومن بين العلماء الآخرين الذين أجروا محاولات لقياس سرعة الضوء العالم الفرنسي « أورمان فيزو » ، وقد قام هذا في عام ١٨٤٨ في أول محاولة لقياس سرعة الضوء عبر مسافة قصيرة على الأرض بلغت ٨٦٣٣ مترا ، وذلك بطريقة الدولاب المسنن ، ليتسنى له قياس فترة قصيرة من الزمن . وأصبحت هذه الطريقة شائعة الاستعمال في تحديد سرعة الضوء في الهواء والماء والفراغ الفضائي .

وفي عام ١٩٥٧ ، توصل أحد العلماء الى أن الضوء يسير في الفراغ بسرعة مقدارها ٢٩٩٧٩٢٤٠٠ متر في الثانية ، بانيا دراسته هذه على نتائج مسبقه توصل اليها عدد من العلماء ، وهذا هو المعترف به رسميا في الأوساط العلمية اليوم .

أسطورة الأثير كوسط لانتقال الضوء

رافقت البحث في سرعة الضوء أمور تتعلق بطبيعته لم يستطع العلماء الجزم فيها ، نظرا للتناقضات وما كان يكتنفها من ابهام وغموض . فقد قال العالم الفلكي الاسلامي « ابن الهيثم » أن الضوء ذري التركيب ليفسر كيفية انتقاله وانكساره وانعكاسه . وبعد ستة قرون تقريبا جاء « نيوتن » لميتبنى نظرية ابن الهيثم، وبيني آراءه في تفسير ظاهرة الضوء على أنه حبيبات تصدر من جسم نير ، فتنعكس عن بعض الأجسام عند

وقوعها عليها ، وتنعكس في انتقالها من وسط الى آخر .

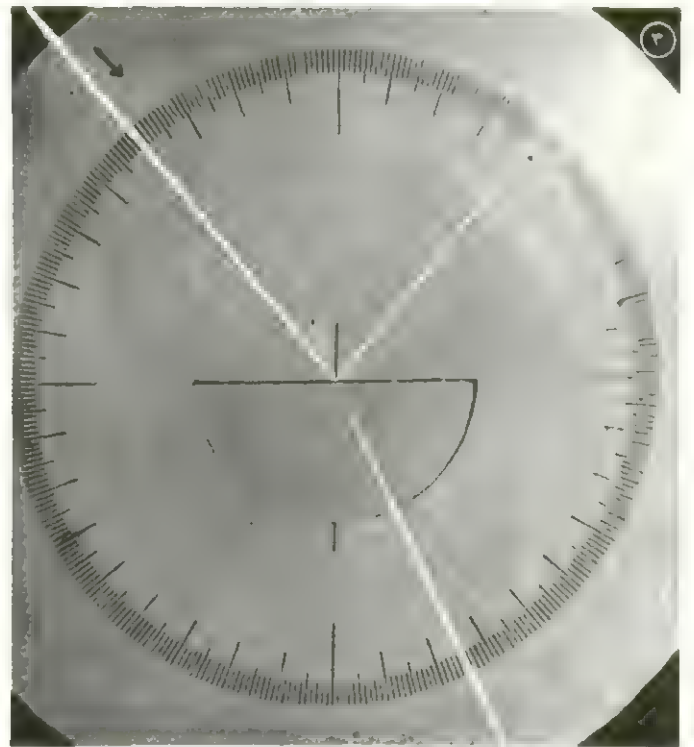
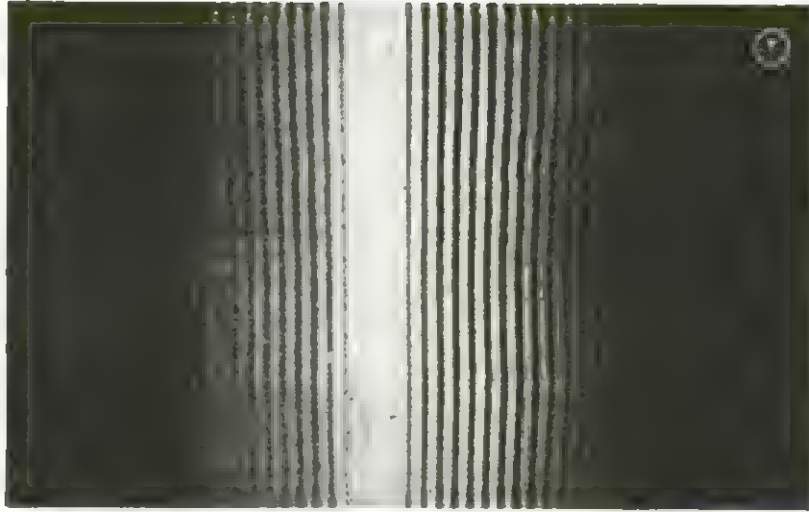
وبما قاله « نيوتن » في تفسيره لظاهرة الضوء ، ان حبيبات الضوء عندما تقع على سطح الماء أو الزجاج فانها تتعرض لقوة جذب من قبل جزيئات السائل أو الجماد فتزداد سرعتها ، وهكذا توصل نظريا الى أن سرعة الضوء في الماء أو الزجاج ، هي أعظم منها في الهواء . وقد سلم الناس بهذا الرأي نظرا للمكانة التي كان يحتلها « نيوتن » بين العلماء الى أن جاء من ينقضه بطريقة لا تقبل الجدل .

ذكرنا سابقا أن العالم الفرنسي « فيزو » ، تمكن من قياس سرعة الضوء عن طريق الدولاب المسنن . وقد أجريت تجارب كثيرة من قبل علماء عديدين ، اما بواسطة طريقة « فيزو » أو بواسطة طريقة وضعها العالم الفرنسي « فوكو » لقياس سرعة الضوء في الماء أو الزجاج ، فكانت النتيجة أن سرعة الضوء في جميع أنواع المادة هي أقل منها في الهواء أو الفراغ . لذلك فقد اعتبرت هذه المعلومات ناقضة لنظرية طبيعة الضوء الذرية . كان من المعتقد أن انتقال أمواج الصوت والضوء يتطلب وسطا مرنا يساعد على حمل الطاقة من مكان الى آخر . فما هي اذن تلك المادة التي تملأ رحاب الفضاء ، وتساعد على انتقال أمواج الضوء ؟

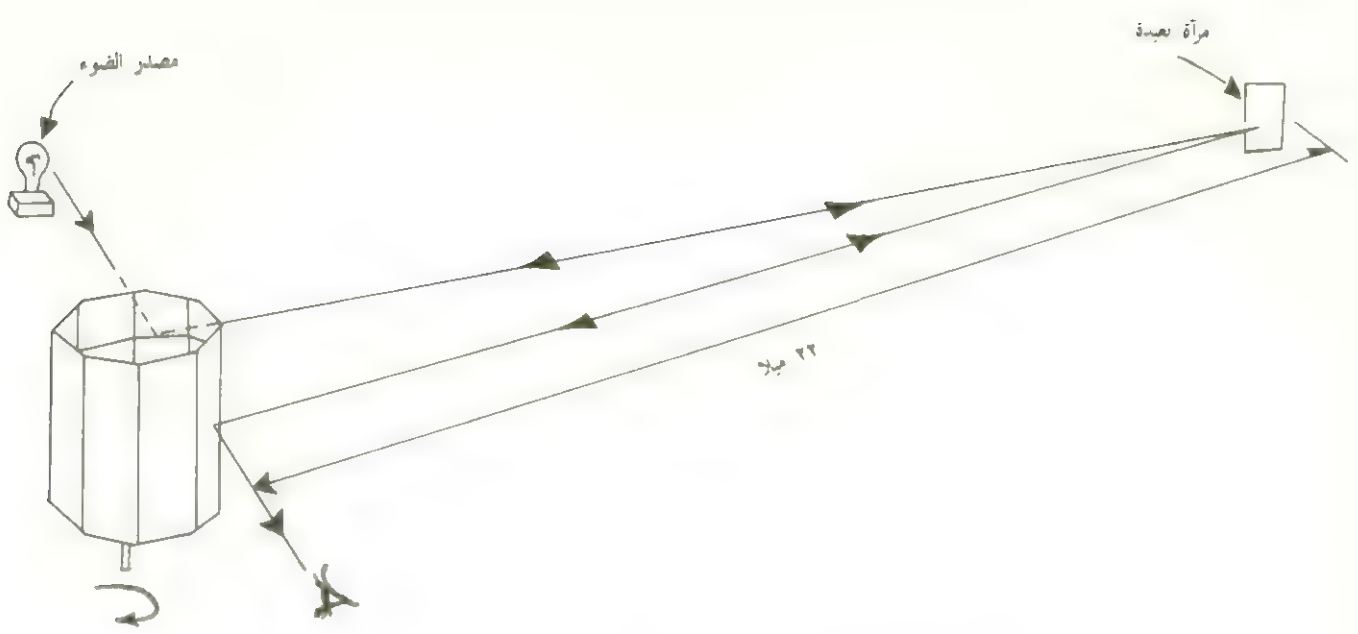
لقد وجد العلماء الأقدمون في الأثير ضالهم المنشودة . وهو في نظرهم وسط رقيق للغاية ، بحيث لا يعترض الكواكب السيارة في تحركها ، كما انه يتمتع بمرونة تفوق مرونة الفولاذ بنحو ألف مرة . ومع هذا فقد سلم العلماء بوجوده تسهلا لفهم انتقال أمواج الضوء .

الأثير كوسط للأثير

كان الكون الذي يتخلله وسط غير منظور وتوجب في عباة الأجرام السماوية ، وتنتقل فيه أمواج الضوء ، كما تنتقل الأمواج على سطح الماء ، كان آخر النتائج الفيزيائية التي توصل اليها « نيوتن » وما وضعه من نواميس . وقد أصبح هذا الوسط ، أي الأثير الوهمي ، مطية ميكانيكية لكل ظواهر الطبيعة المعروفة ، ومرجعا للدلالة على حركة الأجسام . ومع ذلك فلم يتمكن أحد من حل ألغاز هذا الوسط الغريب ، أو اثبات وجوده فعلا في أرجاء الكون .



- ١ - كان الاعتقاد السائد حتى مطلع القرن الثامن عشر ان الضوء ذري التركيب ، وان ذراته تسقط على السطح ثم تنعكس عنه تماما كما يحدث لكرة من الفولاذ عندما تسقط مائلة على سطح صلب فيعكس اتجاهها .
- ٢ - عندما تتداخل حزمتان من الضوء بعضهما ببعض ، تتولد عنهما أهداب مضيئة وأخرى مظلمة . وقد جاءت هذه التجربة اثباتا للنظرية القائلة بأن طبيعة الضوء موجبة وليست سالبة .
- ٣-٤ - عندما تقع حزمة من الضوء على سطح ماء أو على قطعة من الزجاج ، ينعكس بعضها ويعود الى الهواء ، بينما يدخل البعض الآخر مائلا عموديا .. وقد نسب العالم « نيوتن » هذه الظاهرة الى أن سرعة الضوء عبر الماء أو الزجاج أعظم منها في الهواء . بينما أثبتت التجارب المتعاقبة عكس ذلك .

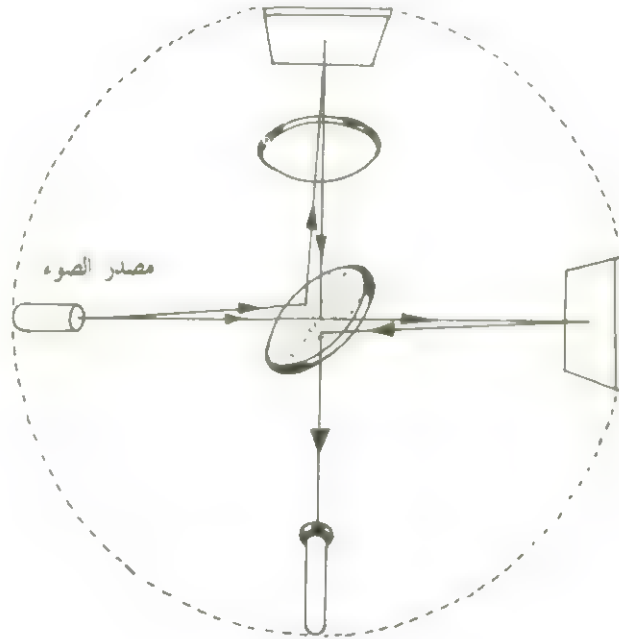


رسم توضيحي لجهاز « ميكلسن » الخاص بقياس سرعة الضوء بواسطة مرآة ثمانية الأضلاع : تعكس ما يقع عليها من أشعة الى مرآة أخرى بعيدة عنها ثم تعود هذه الأشعة الى المرآة الأولى حيث يقاس الزمن الذي استغرقت لأشعة في رحلتها وذلك من خلال عدد دورات المرآة الثمانية الأضلاع .

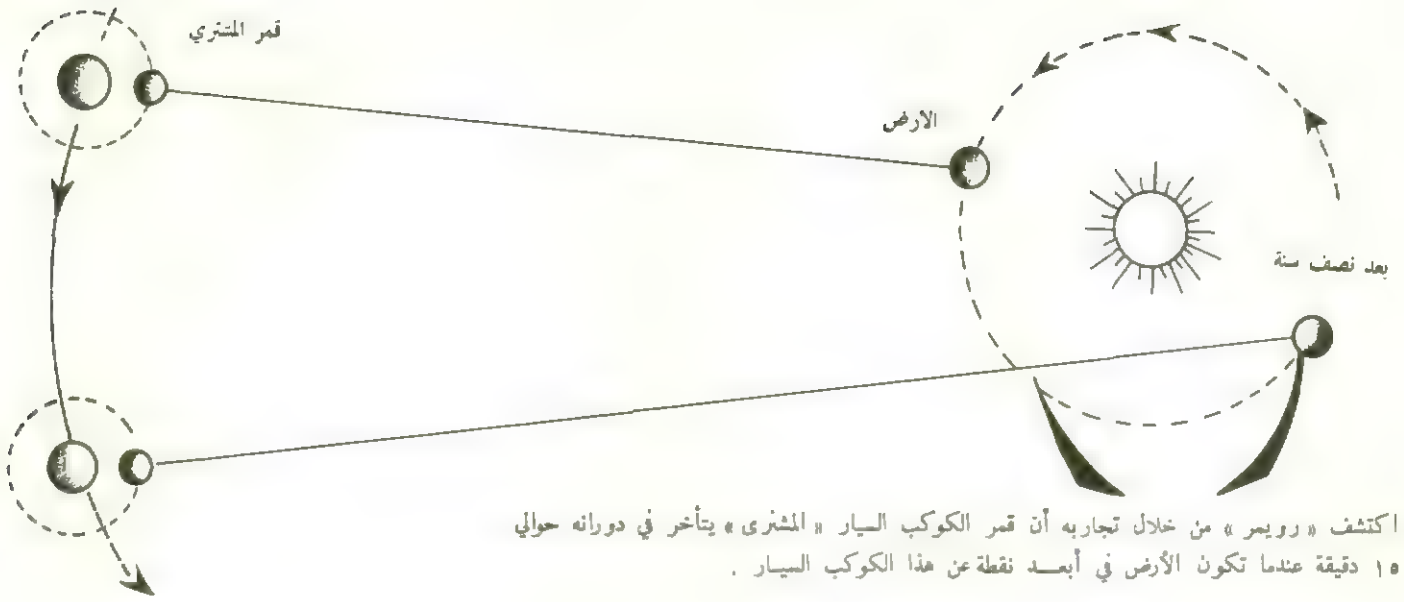
ثم أقدم العالمان الأمريكيان « ميكلسن » و « مورلي » ، على حل ألغاز هذا الوسط الغريب ، وذلك عن طريقة تجربة كلاسيكية أجريها عام ١٨٨١ . وقد استند هذان العالمان في تجربتهما هذه الى أنه اذا كان الكون بحرا من الأثير عديم الحركة ، فيجب أن يكون بالامكان ادراك سرعة الأرض في ذلك الوسط وقياسها ، كما يتمكن الملاحون من قياس سرعة المركب في وسط الماء . وقد تبين نيوتن انه ليس بالامكان ادراك حركة المركب في الماء الهادىء بأي تجربة آلية تجري في داخله . لذلك فان الملاحين يعتمدون لمعرفة سرعة المركب الى القاء قطعة خشبية من على سطحه ، مربوط بها حبل ، ثم مراقبة طول الحبل الذي تجره القطعة الخشبية نتيجة لابتعاد المركب عنها في زمن معين .

أما « ميكلسن » و « مورلي » فقد رميا حزمة من الضوء في بحر الأثير عوضا عن قطعة خشبية ، على أمل أن يجدا تغيرا في سرعة الضوء ناتجا عن مجرى الأثير الذي يحدث بسبب حركة الأرض . وبعبارة أخرى ، اذا انطلقت حزمة الضوء في اتجاه حركة الأرض ، فان سرعتها تقل بسبب مجرى الأثير ، كما يحدث لسرعة من يسبح ضد التيار في النهر . وهذا الفرق في سرعة حزمة الضوء يكون قليلا ، لأن سرعة الأرض في مدارها تبلغ ٣٢ كيلومترا في الثانية ، وهو جزء بسيط من سرعة الضوء . أما الجهاز الذي ابتكروه هذان العالمان ، فقد مكنتهما من قياس كسر بسيط من كيلومتر في الثانية قد يطرأ على سرعة الضوء .

جرت هذه التجربة في ظروف من الدقة والاتقان المتناهيين ، وقد خرج العالمان السالفا الذكر منها بنتيجة مفادها انه لا فرق في سرعة



رسم يمثل الجهاز الذي ابتكروه العالمان « ميكلسن » و « مورلي » لمعرفة ظاهرة تداخل الضوء .. وقوام هذا الجهاز عدد من المرايا وضعت بحيث تسقط حزمة من الضوء على المرآة الوسطى فينعكس جزء منها عموديا بينما يخترق جزء آخر منها المرآة الأفقية . وعندما تعود الأشعة من الناحيتين الى المرآة الوسطى تتكون أشعة واحدة تنعكس باتجاه مرآة تقع في أسفل الجهاز المذكور لمشاهدة ظاهرة التداخل الضوئي .



اكتشف « رومير » من خلال تجاربه أن قمر الكوكب السيار « المشترى » يتأخر في دورانه حوالي ١٥ دقيقة عندما تكون الأرض في أبعد نقطة عن هذا الكوكب السيار .

نعود الآن الى الخيال العلمي ، الذي كان مقدمة لظهور حقائق ملموسة ، كالوصول الى القمر ، أو الى صنع طائرات أسرع من الصوت . فالعالم الفيزيائي « فاينبرغ » من جامعة كولومبيا مثلاً ، لم يكن مقتنعاً باطار نظرية النسبية التي أثبتت بأنه ليس بالامكان التوصل الى سرعة أعظم من سرعة الضوء ، لذلك فقد عكف على معالجة المعادلات الرياضية التي هي قوام تلك النظرية ، فلم يتوصل مطلقاً الى نتائج ايجابية . لكنه أخيراً توصل الى حل يخرج من ذلك المأزق ، وذلك بأن استبدل كتلة الجسم وطاقته ، برقم رياضي وهمي ، هو الجذر المائي للعدد « -١ » ، وكانت النتيجة هي طاقة حقيقية لجسيم أسرع من الضوء مما دفعه الى تصور وجود جسيم غريب على الجانب الآخر من حاجز سرعة الضوء ، يستطيع الانطلاق بسرعة تفوق ٣٠٠٠٠٠ كيلومتر في الثانية ، وهي سرعة الضوء المعروفة . هذا ، وقد رجحت الأوساط العلمية بهذا الجسيم الجديد بالرغم من خواصه الغريبة ، وشرع العلماء في تجهيز المختبرات الضرورية للكشف عن هذا الجسيم ، عن طريق مسح عام لصور عديدة تظهر فيها تصادمات الجسيمات الصغيرة في داخل الحجرة الغائمة أو حجرة الفقاع . وإذا ما تم التوصل لاكتشاف هذا الجسم ، فانه من المحتمل في المستقبل أن يتمكن الانسان من القيام برحلات الى النجوم البعيدة ، عن طريق مركبات تستمد سرعتها العالية من تسارع مصدره هذه الجسيمات الجديدة ، بحيث تصبح سرعة المركبة قريبة جداً من سرعة الضوء . وفي حالة كهذه ربما تستغرق رحلة الانسان الى أقرب نجم من النجوم ، نحو أربع سنوات وبضعة أشهر ■

يمض بضعة سنوات على ظهورها حتى أصبحت الناموس الشامل بالرغم من أن أحداً لم يتمكن من اجراء تجارب لاثباتها عملياً . ومع تقدم الدراسات الذرية ، تبين أن هناك أجساماً تبلغ سرعتها جزءاً كبيراً من سرعة الضوء . فجسيمات « بيتا » تنطلق من الراديوم بسرعة تتراوح بين ٣٠ و ٩٩,٨ بالمائة من سرعة الضوء ، وذلك لأن كتلة الجسم تزداد بنسبة ١٥ بالمائة اذا كانت سرعته تعادل ٥٠ بالمائة من سرعة الضوء ، أما اذا كانت سرعة الجسم تعادل ٩٩,٨ بالمائة من سرعة الضوء ، فان كتلته تزداد ١٦ ضعفاً . هذا ، وتقوم المسارعات الذرية باعطاء القذائف الذرية سرعات عالية ، فتصبح ذات زخم يؤهلها من شطر الذرة ، كما أصبح معروفاً اليوم . وهناك بعض الكوازارات أو أشباه النجوم يتعدى عنا بسرعة تساوي ٨٠ بالمائة من سرعة الضوء . ومع اتقان المراقب الراديوية ستزداد معلوماتنا عن محتويات الكون وخواصه .

سرعة الضوء

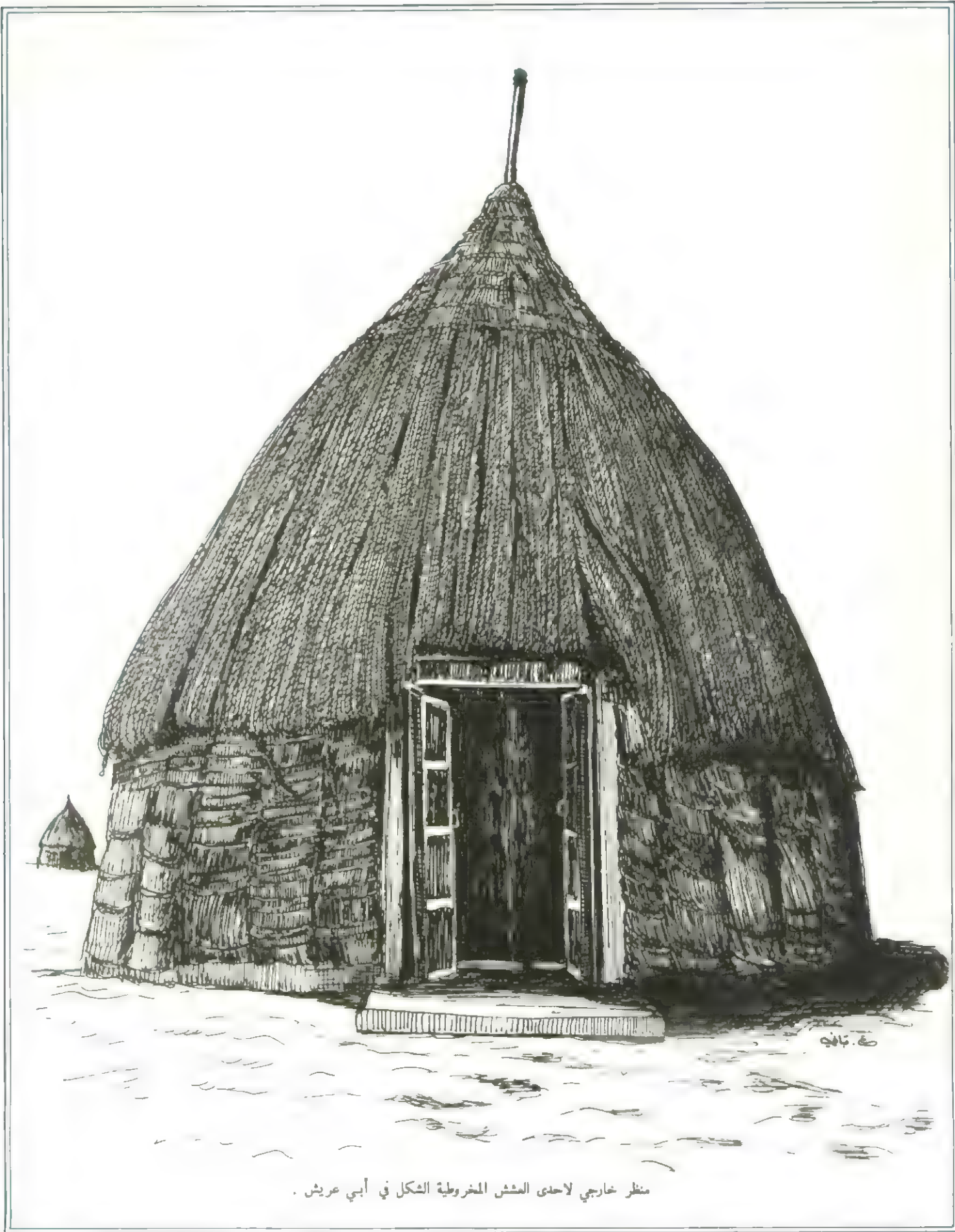
في عام ١٩٥٨ ، منحت جائزة نوبل لثلاثة من العلماء السوفييات ، على أبحاث قاموا بها ، تتعلق بنوع غريب من الاشعاع ينطلق عندما تسير ذرات وسط مادة شفافة بسرعة تفوق سرعة الضوء . وكان أحد هؤلاء الثلاثة قد اكتشف هذا الاشعاع عام ١٩٣٤ ، وبعد ذلك عكف الاثنان الباقيان على شرح هذه الظاهرة نظرياً . ولما كانت زاوية انطلاق هذه الأشعة من جسم ما تتوقف على سرعة ذلك الجسم ، أصبح هذا الاشعاع وسيلة في التجارب لمعرفة دقائق ذات سرعة معينة .

الضوء كيفما كان اتجاه الحزمة . غير أن هذه النتيجة وضعت العلماء أمام أمرين ، فكان عليهم إما أن يهملوا نظرية وجود الأثير بعد أن كانت قد أدت خدمات لا تحصى ، في مجال الضوء والكهرباء والمغناطيس ، أو أن يتمسكوا بها ويهملوا فكرة دوران الأرض في مدارها . حدثت بليلة في آراء العلماء بعد هذه التجربة ، خصوصاً بعد أن كررت مراراً ، وكانت النتيجة أن سرعة الأرض بالنسبة الى الأثير هي لا شيء .

ظلت الحيرة تساور تفكير العلماء ازاء ظاهرة وجود الأثير أو عدم وجوده ، الى أن جاءت نظرية « النسبية » بعد ربع قرن لتعلن أن الاثبات الوحيد الذي يصح الاعتماد عليه هو سرعة الضوء ، وانه لا وجود للأثير إطلاقاً ، كما انه لا حاجة لاعتبار الفضاء نظاماً ثابتاً مستقراً يمكن للعلماء من خلاله تمييز الحركة المطلقة من النسبية ، فتظل سرعة الضوء ثابتة ، اذا كان من يراقبها يسير نحو مصدر الضوء أو بعيداً عنه . وهكذا حل الضوء في الكون محل الأثير الذي بقي زمناً طويلاً مركز الدلالة على حركة الأجسام .

السرعة النسبية للضوء

وعلاوة على ما تقدم ، فقد نصت نظرية النسبية على أن كتلة الجسم تزداد بازدياد سرعته ، وإذا سار جسم بسرعة الضوء تصبح كتلته لا حد لها . ولما كانت الأجسام في عالمنا هذا تسير بسرعة لا تتعدى كسراً بسيطاً من سرعة الضوء ، فان من غير اليسير ادراك أي تغيير يطرأ على الكتلة . لذلك كان من العسير على الأوساط العلمية أن تسلم بهذه النظرية في بادئ الأمر ، غير أنه لم



منظر خارجي لآحدى العنش المخروطية الشكل في أبي عريش .



جازان...

على عتبة فجر جديد

جازان .. منطقة في أقصى الطرف الجنوبي - الغربي من المملكة العربية السعودية، كانت حتى عهد قريب ربح تحت كابوس تفيل من الأرزاء والكوارث. وشخر في أوصالها آفات الفقر والجهل والمرض، وتقع في عزلة بعيدة تحترق بمرارة أضداد حروبها المتلاحقة، إلى أن نمت منذ أقل من نصف قرن باستقرار أوضاعها واستتاب أمنها، ومن ثم راحت توأكب مسيرة التطور الشامل. وهي اليوم تتطلع بكل ثقة واعتزاز إلى غدٍ مشرقٍ ومستقبلٍ زاهرٍ لما نفع به من مشاريع حيوية تعود عليها بالرخاء ورغد العيش.



١ - صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية يقص الشريط ايدانا بافتتاح أضخم سد في المملكة العربية السعودية ، وقد وقف الى يساره صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز ، أمير منطقة الرياض فمعالي الشيخ حسن مشاري وزير الزراعة والمياه .

٢ - منظر لمدينة جازان من البحر ، وترى بعض قوارب الصيد رابضة على الشاطئ .

٣ - قلعة الدوسرية التي تربع على جبل في وسط مدينة جازان وتطل على الميناء من الجهة الأخرى .





« مكحلة » مصنوعة من الخصف وسحلة بالخرز البديع الألوان
تزدان بها جدران إحدى العيش .

والى جانب الذرة والحنطة والشعير ، يغرس فيه ساكنوه أشجار البن والموز
والعنب والخوخ والليمون والبرتقال والسفرجل والتمر الهندي والعنبروت
(الباباي) والزنجبيل والمنجة والقشدة والارنج . هذا بالإضافة الى « الخضر » ،
وهي نباتات وزهور ذات رائحة زكية تضعها الريفيات في شعورهن ،
ويطلقن عليها اسم « خطوط الرأس » ، ومنها الكادي ، والبياض ، والفل ،
والبعيثان ، والواله ، والزعر ، والشمطري ، الذي توضع أوراقه أيضا في
الشاي لتكسيه رائحة طيبة ونكهة لذيدة .

أما مدينة جازان فعبارة عن رأس يمتد في البحر على شكل نصف
دائرة ، يحيط بها البحر من الشمال والغرب ، وتحيط بها جبال الملح
الصخري من الجنوب والشرق . ويمتد من الجهة الجنوبية الشرقية شاطئ
رملي جميل تقع من ورائه تلال رملية . وقد أبدع الأستاذ العقيلي في وصف
جازان عندما قال :

فتنصتي « هزارك » وفتناك
ومغردا بجمالها وصباك
رقصت لها الأمواج تحت ضياك
ذابت على حمر الصخور هناك
بيضاء قد رفت على يمينك
نضت غلالها هوى ، شطاك

جازان اني من هواك لشاكي
يرعى شواطئك الجميلة هاتفا
يجلو المساء على بحارك فتنة
وتلألأت نور الأشعة فضة
فبدا بها « قوز الشويعر » باقة
وتبرجت فيه « العشيما » غادة

عوامل عديدة لتجعل من هذه البقعة منطقة فريدة .
فهي تمتاز أولا بتربة خصبة تزرع أربع مرات في
السنة الواحدة ، مما دعا أحد الخبراء الزراعيين الى أن يطلق عليها اسم
« سلة خبز المملكة العربية السعودية » ، وثانيا بموقع فريد بصفتها بوابة
المملكة الجنوبية الغربية ، وثالثا لطبوغرافيتها المتنوعة : جبال شاهقة تغطيها
أشجار الغابات والفاكهة ، وأودية ممرعة ، سهول ساحلية خضر ، وشواطئ
رملية على البحر الأحمر .

تغطي هذه المنطقة مساحة تبلغ نحو مائة ألف كيلومتر مربع . ويمتد
ساحلها ، القليل التعاريج ، مسافة ٣٥٠ كيلومترا تقريبا ، من « القحمة »
شمالا ، الى « الموسم » جنوبا قرب الحدود اليمنية ، وتنتهي شرقا بجبال
« رجال ألمع » ، وهروب ، وبني مالك ، والنظير . أما سهولها الساحلية فتضيق
وتتسع تبعا لقرب الجبال وبعدها عن البحر ، ويبلغ متوسط عرض السهل
الساحلي حوالي ٨٠ كيلومترا .

وتتميز هذه المنطقة عن غيرها باكتظاظها بالسكان ، وبكثرة قراها
الزراعية ، فلا تكاد تقطع نحواً من خمسة كيلومترات حتى تحط في قرية .
وتعتبر مدينة « جازان » ، الواقعة على خط عرض ١٦,٥٣ درجة شمالا ،
ونخط طول ٤٢,٣٣ شرقا ، عاصمة هذه المنطقة والميناء الرئيسي لها وللمنطقة
عسير كلها أيضا ، وهذا ما جعل منها مركزا تجاريا مرموقا . ومن أشهر
قراها أبو عريش ، وصيبا ، وبيش ، وحاكمة ، وصامته ، والعارضة ،
والدرب ، وعيمان ، وهروب ، والحقو ، والمضاي ، ونخلان ، وضمد .

وتتخلل منطقة جازان أودية كثيرة تنحدر من سلسلة جبال السراة ،
وتتجه نحو السهل الساحلي ، ثم تصب في البحر الأحمر . ومن أهم هذه
الأودية ، وادي عتود ، وبيش ، وصيبا ، وضمد ، وجازان ، وتعرش ،
وخلب ، وله . وتتركز حياة السكان الزراعية حول هذه الأودية وروافدها ،
فهي تحمل السيول والطمسي من الجبال في موسم الأمطار ، وتتدفق على
السهول الساحلية ليستفيد منها الفلاحون . ومن أشهر الجبال في المنطقة جبل
فيفا ، وجبال بني مالك ، وجبال الريث ، وجبال قيس ، وجبال الحشر .
ولعل جبل « فيفا » ينفرد من بين تلك الجبال بمزايا لا تتوفر في غيره ، فهو
أعلى جبل في منطقة جازان ، وتربض على قمته التي يبلغ ارتفاعها عن
مستوى سطح البحر نحو ١١ ألف قدم ، قلعة تسمى « العبيسة » . وهو
يبعد عن جازان حوالي ١٤٥ كيلومترا ، ويمتاز بأشجاره المتشابكة
الأغصان الوارفة الظلال ، وهوائه العليل ، ورواه الزاهية ، ورياضه
النضرة . وقد تغنى الشعراء بهذا الجبل ، فهذا « هزار الجنوب » الشاعر
محمد السنوسي يقول فيه :

متحف من أشعة وظلال
سابع في الفضاء يغمره النور
يتحدى الدرر ويخترق السحب
ويزهو في عزلة واختيال
جبل تعشق النجوم معاليه
وتصبو الى ذاره العوالي
أخضر السطح أزهر السطح مصقول
لمحة الفكر وانطلاق الخيال
مشرح الشعر والبيان وسرى
والجدير بالذكر أن هذا الجبل رغم وعورته مأهول بالسكان من
حضيضه الى قمته ، حيث أنشأ ساكنوه الرياض المنسقة في حيف
(مدرجات) ، وبنا بيوتهم الأسطوانية السامقة في كل منبسط وثنية منه ،
وفيه تقام سوق « النفيعة » كل يوم اثنين . والصاعد الى ذروة هذا الجبل
لا بد له أن يمر بذرّاع (١) الفحاح وذراع البركة وذراع يزيد بن يحيى .



في جازان ما يقرب من أربعمئة قارب تستخدم لصيد الأسماك ، هذا أحدها .



تشتهر جازان بصناعة قفل الماء الفخارية التي تمتاز بفتحة ضيقة في أعلاها وفتحة جانبية لتركيب صنوبر عليها .

جازان عن قديم الزمان

لم يرد ذكر جازان بشكل واضح في كتب المؤلفين القدامى ، بل دخلت مصوراتهم الجغرافية من تعيين موقعها ، لأن معظم ما ذكره هؤلاء الكتاب عن بلاد العرب يكاد ينحصر في الأقسام الساحلية الغربية ، وهي بالبداية أكثر أجزاء الجزيرة اتصالاً باليونان والرومان . بيد أن « ديودورس الصقلي - Diodorus Siculus » المتوفى في القرن الآخر قبل الميلاد ذكر في كتابه المعروف بالمكتبة التاريخية - « Bibliotheca Historica » أن بلاد العرب أرضون واسعة تسكنها شعوب وقبائل عديدة ، من جملتهم « Gasandi » . ويرى المؤرخ « جلaser - Glaser » ، أن المراد بهذه التسمية موضع جازان . كما ذكر « بطليموس - Ptolemy » اسم قبيلة سماها « Gassanitae » ، ويظهر أنه قصد القبيلة ذاتها التي ذكرها ديودورس . وهذا « سترابو - Strabo » الكاتب الجغرافي المعاصر لديودورس يذكر في كتابه « Geographia » شيئاً مماثلاً لما ذكره ديودورس ، وقد أورد في معرض وصفه لحملة « أوليوس غالوس - Aelius Gallus » الفاشلة لغزو بلاد العرب للاستيلاء على ثرواتها التي اشتهرت بها من الاتجار بالمر واللبان والبخور والأفاويه والحجارة الكريمة ، بتكليف من الامبراطور الروماني ، « أغسطس قيصر » ، أورد أسماء مدن كثيرة مر بها ، منها « Negrana » أي



منظر عام لسد جازان وقد بدأ الماء يتدفق من فتحاته بعد تشييده ، وترى بعض المنشآت الملحقة به .

وكانت منطقة جازان تعرف في القرن الرابع الهجري باسم « المخلاف السليماني » (٢) نسبة الى سليمان بن طرف ، من آل عبد الجدد الحكميين ، الذي آلت اليه رئاسة قبيلة حكم ، ثم ضم اليه مخلاف عثر فيما بعد ، وجعل من بلاد حكم وعثر امانة واحدة استمرت من عام ٨٣٧٣ الى ٨٣٩٣ على نحو ما هو معروف في كتب التاريخ (٣) . وجدير بالذكر أن اسم جازان قد أصابه شيء من التحريف في هذا القرن فأخذ بعض الناس يقولون « جيزان » بدلا من « جازان » اسمها القديم الذي لا يزال يردده أهالي المنطقة . وقد وجدت بين أهلها من قدم تعليلا طريفا لاسمها بقوله أنه مؤلف من الكلمتين « جاء » و « زان » واسقطت الهمزة فأصبحت « جازان » ، ومعناها : جاء من أسس المدينة وزينها .

وقد مر بها الرحالة البولوني « لويس فارتينا » أثناء رحلته البحرية في مطلع القرن السادس عشر ، ورأى خمسا وأربعين سفينة راسية في ميناء جازان ، وأدهشه أنه رأى في البلد عنيا وسفرجلا وتفاحا ورومانا وليمونا ويرتقلا بكميات كبيرة بالاضافة الى الخنطة والشعير والذرة البيضاء .

ووصفها الأديب الراحل « أمين الريحاني » في كتابه « ملوك العرب » عام ١٩٢٢ بقوله : « وصلنا الى جيزان بعد الظهر ساعة الجزر ، فانكشفت

نجران ، و « Nesca » أي « نشق » ، وتعرف اليوم باسم « البيضاء » ، وغيرهما . ولا يستبعد أن يكون « غالوس » قد مر بكثير من مدن منطقة جازان المعروفة آنذاك . والمعروف ان هذه المنطقة كانت مسرحا لدول معين وسبأ وقتبان وحمير ، تمر بها تجارتهم المتجهة شمالا .

أما اسم جازان فقد أخذ يتردد بصورة واضحة على الألسنة منذ صدر الاسلام .. فجاء في حديث نبوي أثبتته يحيى بن آدم ، المتوفى سنة ٢٠٣ هـ ، في كتاب « الخراج » أن رجلا قال : يا رسول الله اني أحب الجهاد والهجرة وأنا في حال لا يصلحه غيري ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « لن يأتك الله من عملك شيئا ولو كنت بضمم جازان » .

وورد في كتاب « صفة جزيرة العرب » للحسن الممداني أن من بين الرؤوس على البحر العربي (البحر الأحمر) في هذه المنطقة باحة جازان ورأس عثر . وجاء في « معجم البلدان » لياقوت الحموي . أن جازان موضع في طريق حاج صنعاء . وقال « البكري » في استدلاله على جازان بيتا من الشعر نسب للأحوص . وقد يكون لأبي دهل الجمحي :

سقى الله جازانا ومن حل وليه فكل مسيل من نهم وسردد

أما من الناحية الادارية فمدينة جازان تضم الإمارة المركزية ، ويتبعها ٢٩ إمارة فرعية موزعة في قرى المنطقة الرئيسية ، كما تضم الادارات الحكومية المختلفة من أمن ، وزراعة ، وصحة ، وتعليم ، وتجارة ، ومواصلات ، وعدل ، ومالية ، وعمل . وتوجد فيها الفنادق وفروع البنوك وفرع مؤسسة الخطوط الجوية السعودية .

وقد كانت جازان في الماضي تعاني من قلة مياه الشرب ، فكان الأهالي يعتمدون على الآبار والحفائر التي كانوا يحفرونها على مقربة من المدينة ، إلا أن ماءها غالبا ما يكون ملحا . ومن أهم هذه الآبار بئر اسمها « العميرية » تقع على بعد ٩ كيلومترات الى الشرق من جازان . ثم تم حفر أربع آبار أرتوازية في مكان يقال له « المطاري » ، وأنشئ خزان ضخيم على مقربة منها ، وجلب ماؤها الى جازان بواسطة ثلاثة خطوط من الأنابيب متوسط قطر الواحد منها ٢٥ ستمترا . كما أنشئ في المدينة أربعة خزانات لتوزيع المياه على المنازل ، وبذلك سدت حاجة هذه المدينة من الماء بصفة دائمة . وكان لهذا أثره العظيم في انعاشها واتساع عمرانها وانتشار الرخاء فيها . وأول ما يطالع المقبل على مدينة جازان من ناحية المطار ، حي « المطلع » ، وهو مدخل المدينة ، حيث يسير في شارع الملك عبد العزيز الذي تنتشر على جانبيه الحوانيت والمقاهي التي تغض بروادها في المساء يشربون الشاي المزوج بالشمطري ، الى أن يواجه مبنى البلدية القابع في أعلى شارع الملك فيصل الذي يتجه غربا ، الى أن يفضي الى الميناء . ويعتبر هذا الشارع قلب المدينة النابض ، اذ تقوم على جانبيه المحلات التجارية .

فاذا ما شعر بالتعب من التجوال بين حوانيت البزازين ، وما أكثرهم في هذا الشارع ، فما عليه الا أن يسلك شارع « مصلى العيد » الذي يبدأ من مكتب الامارة ، ويتجه جنوبا الى حي الجبل الذي يحتضن أبنية جميلة ، من بينها قصر الأمير تركي السديري ، والد الأمير الحالي للمنطقة . في هذه المنطقة يلحظ سوقا للأواني الفخارية وأخرى للمظلات « قبعات الخوص » والحصر والمفارش وسجاجيد الصلاة والحبال والزنايل المصنوعة من السعف ، وبعض النباتات والحشائش كالحلفاء والطفلي والصافي والمثل وغيرها . ويشتهر أهالي منطقة جازان بصنع قبعات الخوص التي يرتديها الفلاحون منهم لتقيهم غائلة الحر اللاfach في فصل الصيف ، ويتراوح ثمن الواحدة منها بين خمسة ريالات وعشرين ريالا ، تبعا لنوعها وشكلها وطريقة صنعها . وعلى مقربة من هذه السوق يرتفع جبل الملح الذي تقوم عليه بعض منازل المدينة . ولقد قامت بعثة كندية بحفر تلك المنطقة ، فعثرت على كميات كبيرة من الملح تقدر بنحو ٥٠٠ مليون طن . وتوجد هذه الكميات في طبقات تمتد الى عمق عشرين مترا تحت سطح الأرض ، وتجري في الوقت الحاضر دراسات واسعة لاستغلال هذه الثروة الضخمة بالأساليب الحديثة . ويقوم الأهالي حاليا بتفتيت صخور الملح بطرق بدائية وتعبئتها في أكياس من الخيش يباع الواحد منها بأربعة ريالات لأهل جازان والقرى المجاورة . من هناك تصافح ناظريك « قلعة الدوسرية » تربع على جبل في وسط المدينة وتطل على الميناء ، وهي قلعة تركية على الأرجح .

ويشتهر أبناء جازان بصناعة قوارب صيد الأسماك وخاصة السنايك . ويبلغ عدد القوارب في مينائها ما ينوف على أربعمئة قارب ، تستخدم حاليا في صيد الأسماك المختلفة من مياه البحر الأحمر ، وقد كانت ، حتى وقت قريب ، تستخدم في صيد اللؤلؤ . ومن أشهر الأسماك عندهم :



شق الطرق المعبدة من المشاريع الحيوية التي ستربط جازان بغيرها من المدن الأخرى .

أمامنا ، ونحن في السنبوك ، بقعة من الأرض سوداء بين الشاطئ والماء . وكان اجتماعنا دائما ليلا لأن الحر في جيزان لا يأذن أبداً بالتجوال ، أو بأقل الأعمال نهارا . خبرت الحر في أماكن كثيرة ، فما وجدت حرا جامعا محاسن الحر كلها ، وفي أعلى درجة منها مثل حر جيزان . ان الشمس ها هنا قريبة جدا منك ، كأنها على الأرض تشتعل ، فترسل أشعتها عكسا الى كبد السماء . ويبدو من وصف الرياحاني أنه زارها في أشد أشهر الصيف حرارة وقيظا ، اذ تتراوح الحرارة فيها بين شهري مايو وسبتمبر بين ٣٥ و ٤٢ درجة مئوية ، والرطوبة تقل عن ٨٥ بالمائة ، أما في الشتاء فيختلف معدل الحرارة بين ٢٥ و ٣٥ درجة مئوية .

جَازَانُ لِيَفْمَ

شأن بين جازان الأمس وجازان اليوم .. هي اليوم مدينة آخذة بأسباب التقدم والتطور ، فبينما كان معظم بيوتها من العيش المخروطية الشكل حتى العقدين الأخيرين من هذا القرن ، نجدها الآن تشهد حركة عمرانية واسعة ، فقد نسقت طرقاتها ووسعت ، ورصفت شوارعها وأثيرت .



١ - مسجد أثري قديم عل مدخل مدينة « أبي عريش » ذو ثمانى عشرة قبة بناه الشريف حمود بن محمد عام ١٢٢٩ هـ .

٢ - شارع الملك فيصل حيث تبيع المتاجر بأنواع من الملابس والكماليات .

الظيرك ، وزين أبوه ، وشروء ، وعقّام ، وصهب ، وملون ، وتودآف ، وقرب ، ومنقّم ، وسلبه ، وأبو لعالم ، وياض ، والقرش بأنواعه ، وثمد ، وأبو سلامة (الدلفين) ، والخوتة ، وقبده ، والطويلة (عروس البحر) ، وبثّان وهي من الأسماك الضخمة التي يتراوح طول الواحدة منها بين ٣ و ٥ أمتار . ويشغل أهالي جازان بالتجارة والصناعة اليدوية وفي الوظائف الحكومية المختلفة ، أما باقي سكان المنطقة فيشتغلون بالزراعة وتربية المواشي .

وفي الصباح الباكر تشاهد سيارات « الجيب » والابل محملة بالخضروات والفواكه الطازجة من القرى المجاورة لتفرغ أحماها في سوق الخضار بالقرب من مبنى البلدية ، وهي تباع بأسعار رخيصة جدا حتى أن الكيلوغرام الواحد من الطماطم يباع بثلاثة قروش سعودية .

جازان

ليس غريبا أن تصبح جازان بحكم موقعها ممرا حيويا للرائح والغادي ، ومحطة يلتقي فيها المسافرين على الطرق البرية والبحرية على حد سواء . ولهذا بادرت وزارة المواصلات بربط هذه المدينة بشبكة من الطرق . ويجري العمل حاليا على تعبيد الطريق الرئيسي الذي يربط جازان بصبيا وأبها والطائف ، وهو طريق يبلغ طوله ٧٧٥ كيلومترا . كما سيعاد تمهيد الطريق الذي تعطل بفعل السيول والذي يربط جازان بأبي عريش والسد ويمتد الى الجبال . ولا شك ان هذه الشبكة من الطرق تسهل نقل حاصلات البلد الزراعية الى المناطق المجاورة . كما ان العمل جار الآن على توسعة ميناء جازان الذي يكلف نحو ١٥ مليون ريال . وقد بدأ العمل في منتصف عام ١٩٦٧م بإنشاء جسر حجري يمتد من الساحل الى البحر مسافة ٦٢٥ مترا ويتفرع منه رصيفان طول أحدهما ١٢٧ مترا ، والآخر ٦٠ مترا ، ويبلغ عمق المياه عندهما سبعة أمتار . والمشروع في مراحله النهائية وقد أوشك على الانتهاء .

وبالإضافة الى ذلك تقوم وزارة المواصلات بدراسة لإنشاء أربعة أرصفة أخرى للميناء وإقامة عتابر ضخمة ومنشآت اضافية تقدر تكاليفها بمبلغ ١٢٠ مليون ريال . وسيستفي لهذا الميناء بعد هذه التوسعة استقبال السفن الضخمة ، وسيسهل الى حد كبير في تصدير الحبوب والمواشي والجلود والأسماك المجففة والسمن الى مصوع وعدن والسودان وبنبع وأملج وغيرها . وفي مجال النقل الجوي فان طائرات مؤسسة الخطوط الجوية العربية السعودية تربط مدينة جازان بأمّهات مدن المملكة برحلات يومية منتظمة . وفي حديث خاص مع معالي أمير جازان الشاب محمد بن تركي السديري ، قال : « ان منطقتنا ، بفضل المشاريع الانمائية العديدة ، وفي طليعتها سد وادي جازان الكبير ، مقبلة على نهضة مباركة ستبدل ولا شك ملامحها . واني لأتصور جازان خلال فترة قصيرة مدينة كبيرة مزدهرة لا تقل بحال عن أية مدينة رئيسية في المملكة . »

هو أضخم سد تم بناؤه في المملكة العربية السعودية . وقد احتفل رسميا بتدشينه في يوم الاثنين ٢٥ المحرم ١٣٩١ ، وقام بافتتاحه صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ، النائب الثاني لرئيس مجلس

الوزراء ووزير الداخلية ، قائلا : « بسم الله الرحمن الرحيم ، في هذا اليوم المبارك نفتتح سد وادي جيزان نيابة عن جلالة الملك المعظم وأرجو من الله أن يكون فاتحة خير وبداية مشاريع هذه المنطقة وجميع مناطق المملكة العربية السعودية . »

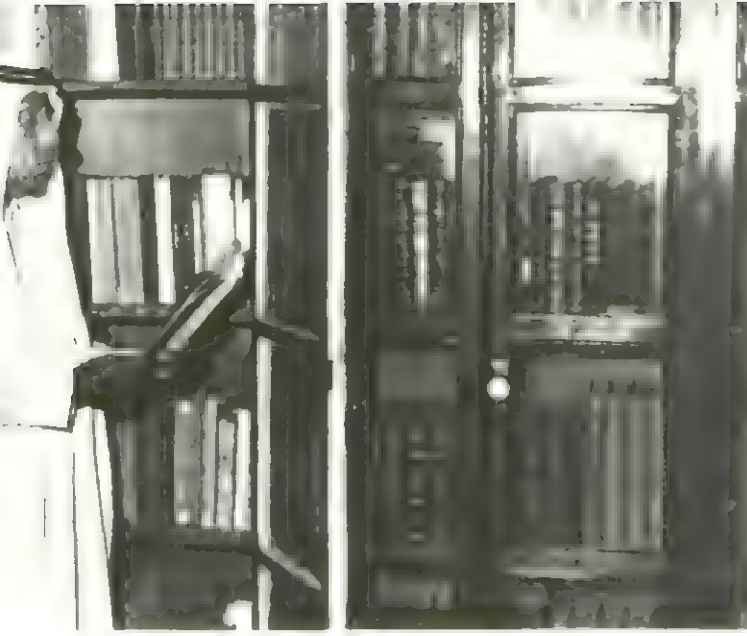
وقد لخص معالي وزير الزراعة والمياه ، الشيخ حسن مشاري ، الأهداف والفوائد التي ستجنيها المنطقة من وراء إقامة هذا السد بقوله : « ان انشاءات السد ما هي الا جزء من مشروع متكامل لتطوير الزراعة بالمنطقة ، تدخل فيه انشاءات شبكة الري والصرف ، كما تدخل فيه أعمال استصلاح الأرض والبحوث والارشاد الزراعي ، وتقديم العون الفني والعيني للمزارعين . وبهذا يكون الهدف النهائي للمشروع ككل ، هو توفير المياه اللازمة للزراعة ، وزيادة مساحة الأرض المزروعة والمروية ربا دائما ، بما يتصل بكل ذلك من آثار اقتصادية واجتماعية تتمثل في رفع مستوى انتاج الأرض والعاملين فيها ، وفي زيادة في الدخل وفي فرص العمل . » وقد القى الشاعر فؤاد شاكر قصيدة في الحفل الذي أقيم لافتتاح السد ، فتنطف منها ما يلي :

بناء على صرحه يعتلي تاللق ، في يومه الأمثل
به اليوم « جازان » مزهوة تنبه على دهرها ، المقبل
فلا البحر يشرب من مائها ولا السيل يمضي ، ولا يأنلي
ولكنه « السد » قيد المياه ، فأواجه فيه كالجدول
ويحيي به الله في كل أرض ، مواسم من الجذب ، والمحمل
ويسقي ، ويسقي بألباجه رحيق حلال من السلسل
كما ألقى الشاعر محمد علي السنوسي قصيدة بالمناسبة ، جاء فيها :

أمل لاح في سماء الوجود ذهبي السنا زكي السورود
مشرق كالضحى على الأفق زاه كالأزاهير في الربيع الجديد
انه « السد » وهو للخير فتح نابض بالحياة نبض الوريد
لبسته تألقا واذا آلت فيه (جازان) ضافيات البرود
تهادى به الأماني على أنغام لحن من عزف عصر سعيد
وأظلت روائه أضواء (فجر) لغد أسعد وعيش رغيد

الزراعة في جازان

تمتاز منطقة جازان بارتفاع معدل هطول الأمطار فيها نسبيا ، فيبلغ على الساحل نحو ٢٠٠ ملم في السنة ، ثم يزداد كلما اتجهنا شرقا وصعدنا في الجبال ليلبلغ ٦٠٠ ملم في السنة . وتهطل الأمطار على المنطقة في موسم الصيف خلال شهري يولييه وأغسطس ، وفي موسم الشتاء خلال شهري فبراير ومارس . وتشكل الأمطار هناك سيولا تنحدر الى الأودية ، وتأخذ طريقها عبر السهل الساحلي الى البحر الأحمر . والمعروف عن الفلاح الجازاني انه نشيط ومثابر .. يقيم « العقوم » (٤) ، للاحتفاظ بالمياه وتحويلها الى المزارع وقت الحاجة . وكثيرا ما يحدث أن تتعرض هذه الحواجز الى الانهيار أمام السيول القوية الجارفة . وقد توزعت الزراعة عامة في المنطقة بين النوع البعلي ، الذي يعتمد على مياه الأمطار ، وبين الزراعة المروية ، التي تعتمد على نظام الري الحوضي من مياه السيول والوديان . وكلا النوعين لا يوفّر للزراعة أسباب الانتظام والاستقرار . ولهذا كان المزارع الجازاني يعاني الكثير من الأحوال المناخية المتقلبة .



يقضي الأستاذ العقيل أمتع أوقاته في « صومته » بين الكتب .



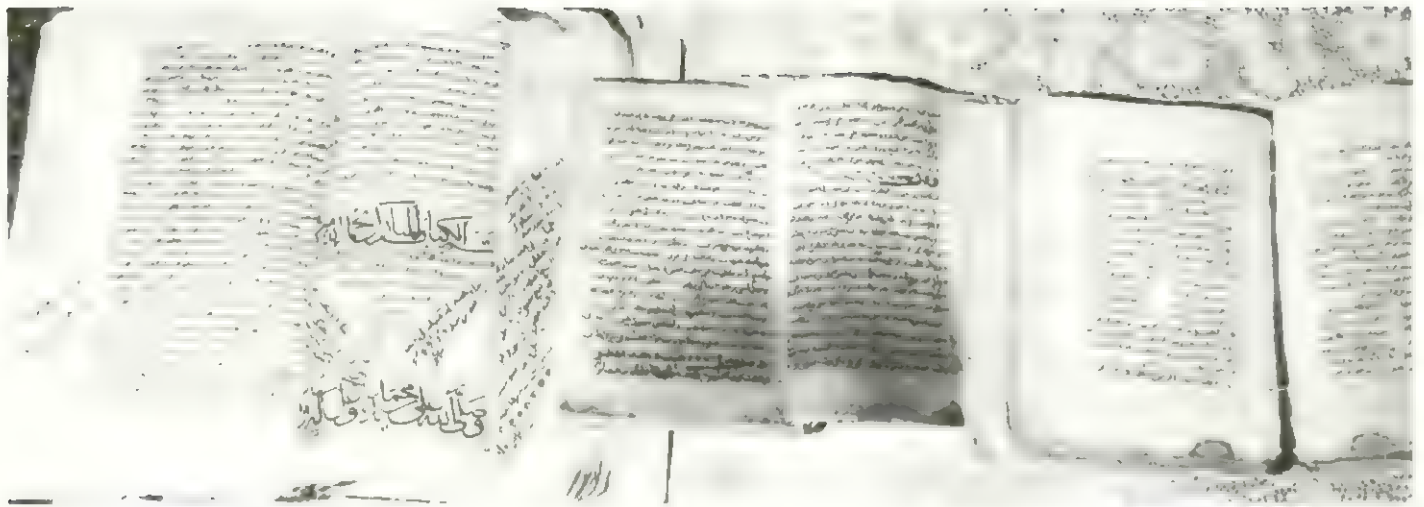
تلاميذ فصل العلوم يصفون باهتمام للمدرس وهو يشرح لهم تجربة علمية في المختبر .

في الامكان تطوير بعض الصناعات الزراعية والريفية الكفيلة باتاحة فرص العمل للمواطنين . أما المرحلة الثانية من المشروع فهي ذات شقين : أولا انشاء محطة للتجارب والأبحاث الزراعية ، والآخر تصميم شبكة مناسبة للرعي . وقد اختيرت قرية « حاكمه » مقرا لمحطة الأبحاث نظرا لمركزها المتوسط في منطقة المشروع وقربها المناسب من الوادي والسد . وهي تقع على بعد خمسة كيلومترات شمالي « أبي عريش » . وتمتاز بترتبتها الطينية الحمراء الخصبة التي يصل ارتفاع قصب الذرة فيها الى نحو أربعة أمتار . ويربى أهلها الأبقار بأعداد كبيرة ، حتى لا يقل ما يملكه الواحد منهم عن ٣٠ بقرة . والجدير بالذكر أن جميع أراضي منطقة جازان يملكها المواطنون ، الذين يشغل ٩٠ بالمائة منهم بالزراعة وتربية المواشي من أبقار وأغنام . لذا كان حب الأرض والتعلق بها جزءا من طبيعتهم . والأراضي رحبة الثمن في الوادي . اذ تبلغ قيمة المعاد (٦) في بعض المناطق الزراعية ما لا يزيد على مائة ريال .

غابة النبق في صبيّا

قيل لنا ونحن في مدينة جازان : من لم ير غابة النبق في صبيّا لم ير شيئا في منطقة جازان . ولم يكن أماننا سوى الاذعان لذلك الاغراء فيمنا شطرها قيل أن تجنح الشمس الى خدرها . وتعتبر صبيّا القرية الرئيسية في المنطقة بعد أبي عريش ، وتبعد نحو ٣٠ كيلومترا الى الشمال من جازان ، وتقع على حرف الوادي المسمى بأسمها . سلكتنا الطريق المعبد الجديد بين مروج خضر زرعت بالبطيخ والخضروات الى أن انتهينا الى تلك الغابة ، فبدت لنا وكأنها لوحة فنية رائعة تضيء على مدخل القرية جمالا وبهاء .. وهي تحيط بالقرية من الجنوب والغرب ، وتمتد مسافة خمسين كيلومترا من الساحل غربا الى سفوح الجبال شرقا ، ويبلغ عرضها حوالي خمسة كيلومترات . ويجمع الأهالي ثمار النبق ويسمون « الكين » ويأكلونه أخضر أو مجففا . وفي صبيّا الجميلة يقول الشاعر القاسم بن علي الذروي :

ونظرا لخصوبة الأرض بادرت وزارة الزراعة والمياه بحكومة المملكة العربية السعودية الى دراسة موارد المياه والتربة بالمنطقة ، بالتعاون مع منظمة الأغذية والزراعة الدولية التابعة لمنظمة الأمم المتحدة . وقد أسفرت تلك الدراسة عن ضرورة اقامة سد كبير يعول عليه في تطوير الموارد الزراعية في المنطقة . وقد بوشر في انشاء السد في مطلع عام ١٩٦٧ ، وبلغت تكاليفه حوالي مائة مليون ريال ، وعمل فيه ٩٠٠ مواطن سعودي من أبناء المنطقة بين اختصاصيين وعمال عاديين بالإضافة الى ٥٠ أوروبيا بين فنيين ومهندسين . وقد أدت روح التعاون بينهم الى نجاحهم المرموق باقامة سد يعتبر عملا فيا كاملا يضاهي من الناحية الفنية أي عمل انشائي مشابه في العالم . كما أدى ذلك التعاون الى تدريب عدد كبير من المواطنين على الأعمال الفنية الحديثة . وقد وقع الاختيار على وادي جازان لاقامة السد عليه لعوامل كثيرة . منها : توسطه في المنطقة . ووقوع ما لا يقل عن ١٠٠ قرية زراعية عليه ، وفي مقدمتها قرية « أبي عريش » مركز الانتاج الزراعي . وكونه من فحوص الأودية في المملكة ومن أكثرها تمثيلا لأوضاع المنطقة الجغرافية والهيدرولوجية . ويقوم السد الذي يبلغ طوله ٣١٦ مترا ، وارتفاعه ٤١,٦٠ م ، وعرضه عند القاعدة ٤,٤٠ م وعند القمة ٣,١٥ م في مكان يسمى « ملاكي » يرتفع عن مستوى سطح البحر ١٣٥ مترا بين جبلي المققع أم سقبان من الجنوب ، والمرباح (٥) من الشمال . ويبعد السد عن مدينة جازان ٥٦ كيلومترا ، وعن « أبي عريش » ٢١ كيلومترا . وستبلغ مساحة البحيرة الاصطناعية التي تمتد خلف السد حوالي ١٤ كيلومترا مربعا يتجمع فيها حوالي ٧١ مليون متر مكعب من المياه ، يستعمل منها لأغراض الري ٥١ مليون متر مكعب بينما يخصص الباقي لسد حاجة سكان قرية السد النموذجية من الماء . وفي موقع السد أقيمت محطة لتوليد الطاقة الكهربائية ، وأخرى لتقطير المياه . ومن المتوقع أن يؤدي هذا السد باعتباره المرحلة الأولى من مشروع تطوير وادي جازان ، الى زيادة الأراضي المروية ربا دائما بحوالي ٨٠٠٠ هكتار ، بالإضافة الى تحسين نوعية المحاصيل الزراعية وزيادة انتاجها . كما سيصبح



بعض المخطوطات النادرة التي تضمها مكتبة الأستاذ محمد بن أحمد عيسى العقيلي .

من الخارج بالجبس ، وقد بناه الشريف حمود بن محمد الملقب بـ « أبي مسمار » عام ١٢٢٩ هـ . وقد خيل لنا ، ونحن ندخل « أبا عريش » أننا أمام قرية كتيبة من قرى افريقيا ، لكثرة عششها المخروطية الشكل . وما أن أتبع لنا أن ندخل « عشة » حسن خالد ، رئيس قسم الموظفين في الشؤون الصحية في جازان ، حتى اختلفت هذه الصورة في أذهاننا ، ورأينا « العشة » في أبي عريش « تتسم بالبساطة والجمال ، ودقة الزخرف وبهاء الألوان ، فضلا عن أسلوب البناء . وبعد أن أخذنا أمانتنا على الأرائك الخشبية الوثيرة التي ازدانت بها عشة السيد « حسن خالد » ونحن نرتشف الشاي بالشمطري . قال حسن : هذه العتش جزء من تراثنا ، ويفضلها الأهالي على المنازل المبنية بالاسمنت المسلح ، لأنها تحفظ البرودة في الصيف والحرارة في الشتاء . وتكلف العشة الواحدة حوالي خمسة آلاف ريال . ويصل ارتفاع العشة الضخمة المخروطية الشكل أحيانا الى ١٢ مترا . أما طريقة بنائها فيبدأ بحفر أساس دائري الشكل توضع فيه أخشاب من شجر العرج والبشم والسمر والعرعر والظير التي تنمو في الجبال ثم يجري حشوها بأخشاب صغيرة من الطلع والائل والفض تربط ببعضها البعض بواسطة الحبال ، ثم يقوم « المعلم » بتسديد الثقوب من الداخل بنوع من الحشائش يسمى المرخ ومن الخارج بالتمام والجليل ، وبعد ذلك يبدأ بتزيين العشة من الخارج بحبال مجدولة من الحلفاء ، ثم يبدأ لكسوها بنوع من الطين الخاص ثم بمسحوق من الحجر الجيري المخلوط بالنبلة . ومن ثم تصبغ العشة من الداخل بالألوان الزيتية ، حيث يستعمل غالبا اللون البرتقالي لثلثها الأسفل ثم اللون الأخضر والأحمر على شكل خطوط دائرية تصل الى رأسها . ويتقن صاحب العشة بتزيينها من الداخل بتعليق الزنايل الصغيرة ، وسجاجيد الصلاة ، والمكايل المصنوعة من الخوصف والمحلة بالخرز أو الصدف البديع الألوان ، والأطباق الملونة من المعدن الخفيف على الجدران والرفوف ، فإذا ما هبت الريح صدرت عنها أنغام شجية . ولكل عشة بابان ، أحدهما يمانى والآخر شامي ، وهي تعمر حوالي ٣٥ سنة ، وتسيك (ترمم) بالحشائش والحبال كلما لزم الأمر .

من نصب هاجه نشر الصبا لم يزد البين الا نصبا
وأسير كلما لاح له بارق القبله من « صبا » صبا
أما الشاعر المؤرخ « محمد العقيلي » فقد استلهم من غابة النبق قصيدة تعتبر من عيون الشعر العربي ، منها قوله :
ودوحة « السدر » تلبو في جلالها شماء سامقة الأفنان « كالقنب »
تقنت بصفيق « الخز » واشتملت مطارفا من نسج الغيث والسحب
والشمس من خلل الأغصان ناظرة كليلة الطرف في شيء من الغضب
فاضت أشعتها كالنير ذائبة على نير دموع الطل في القصب
يلوى النسيم جمانا من معاطفها يحكي سقيط دموع الخرد العرب
وبين صبيا القديمة الغربية وصبيا الجديدة الشرقية أطلال مدينة
الادارة التي يحيط بها سور متداع . والمنازل فيها مبنية بالحجر الأسود
البركاني والأجر الأحمر الزاهي اللون ، وتزدان واجهة كل منزل بالزخارف
والنقوش البديعة من الجبس وبناؤها الواسعة المقنطرة . وتشتهر صبيا بسوقها
التي تقام يوم الثلاثاء من كل أسبوع ، حيث يرتادها أبناء القرى
المجاورة .

العشيش في أبي عريش

تقع « أبو عريش » الى الشرق من جازان على بعد ٣٥ كيلومترا منها ، ويربطها بها طريق معبد دمرته السيول ، ويجري العمل حاليا على تعبيده من جديد . سميت بذلك نسبة الى رجل صالح ابتنى فيها عريشا في القرن السابع الهجري ، كان يقصده الناس لطلب العلم . وتمتاز هذه القرية بموقعها المتوسط في وادي جازان ، وبعششها الفريدة . ويمر الذاهب من جازان الى « أبي عريش » بمزارع الخضراوات ، وخاصة الطماطم ، الذي يصدره الأهالي الى أبها في شهري فبراير ومارس ، وبساتين البرتقال والليمون الناشئة . وكان أول ما شاهدناه على مدخل القرية مسجد قديم ذو ثمانى عشرة قبة مبني بالحجارة السود والحمر البركانية ، ومقصور

ويحدثك عن شؤون الشعر في كتابه «مع الشعراء» . وشعر السنوسي ينضى بعاطفة صادقة تلمسها في كل بيت ، بل في كل كلمة ، ولا يقتصر نشاط السنوسي على الشعر ، فله أيضا صولات وجولات في الأدب الثري .

أخرى من القصص

في مدينة جازان مستشفى مركزي ضخم مجهز بالمعدات الحديثة ، بلغت تكاليفه زهاء خمسة ملايين ريال ، وهو يتسع لحوالي ١٥٠ سريرا . ويوجد في حي المطلاع مستشفى يعمل فيه خمسة أطباء ، كما توجد مستوصفات في قرى جازان الرئيسية ، ومراكز صحية عديدة . ومن المتوقع افتتاح مستشفى صيبا الجديد قريبا . ويجري حاليا انشاء مستشفى في أبي عريش ، وآخر في «الخصاوية» وتجهيزه بالمعدات لاستعماله كمصح للأمراض الصدرية .

ظاهرة اجتماعية فريدة قل أن نجدها في منطقة أخرى من المملكة ، تلك هي اقامة أسواق دورية طوال أيام الأسبوع في قرى جازان الرئيسية ، وهي أسواق نشطة يهرع إليها عدد كبير من أهالي المنطقة للبيع والشراء من جهة ، وللمتعة من جهة أخرى . ومن أنشط هذه الأسواق الدورية سوق يوم الخميس في العارضة ، التي يوثمها الناس من كل حذب وصوب ، فهي من أجمل البقاع الجبلية في مقاطعة جازان . وتقع العارضة وراء سد جازان مباشرة على بعد بضعة كيلومترات منه ، حيث تكسو الأشجار البرية سفوح الجبال . وعلى مقربة من العارضة عين حارة يقصدها الأهالي للاستشفاء في مياهها المعدنية . ويرتاد سوق العارضة الريفيات وأبناء القبائل من جبال سلا ، وقيس ، وبني حريص ، وحقو ، وفيفاء ، حيث يجلبون إليها المواشي ، والعسل المصفى المبأ في قوارير صغيرة ، والسمن الطبيعي ، والفواكه والحبوب ، وبعض المصنوعات اليدوية كالفناجين الخضراء اللون المصنوعة من الصلصال ، وجرار الماء ذات الأفواه الضيقة ، والصحون الخشبية المزخرفة المصنوعة من جذوع شجر الاثل ، والزنايل ، والقبعات ، والمفارش المصنوعة من الخصف والحلفاء ، والحلي الفضية والذهبية كالأوصاح والذباليل والشعيريات ، بالإضافة الى «الخضر» .

الحياة الاجتماعية

فضلا عن ارتياد المقاهي في المساء لشرب الشاي بالشمطري ، يقضي الكثيرون من أبناء مدينة جازان عطلهم الأسبوعية على الشواطئ أو في المزارع القريبة أو على الجبال المكسوة بالأشجار الكثيفة حيث الشلالات المتدفقة والهواء العليل . وقد أنشئت محطة للاذاعة في جازان ، كما ينتظر قريبا انشاء محطة للتلفزيون تغطي المنطقة .

ولأهالي المنطقة تقاليد موروثة ، لعل من أجملها ما يتعلق بأفراح الزواج .. فالشاب الجازاني لا يدخل في حسابه مهر عروسه وتكاليف حفل الزفاف ، وكل ما يفعله ، بعد أن يتم عقد الزواج ، هو أن ينصب في صحن منزله «الخدر» وهي أشبه بسرداق كبير من الأشعرة

وفي «أبي عريش» لا يخلو بيت من شجرة فل تعطر الجو بأريجها . والسر في ذلك ، كما قيل لنا ، هو أن من عادات الزواج عندهم وضع حزام سمك من زهر الفل حول خصر العروس . وقد وصف أحد الشعراء أبا عريش بقوله :

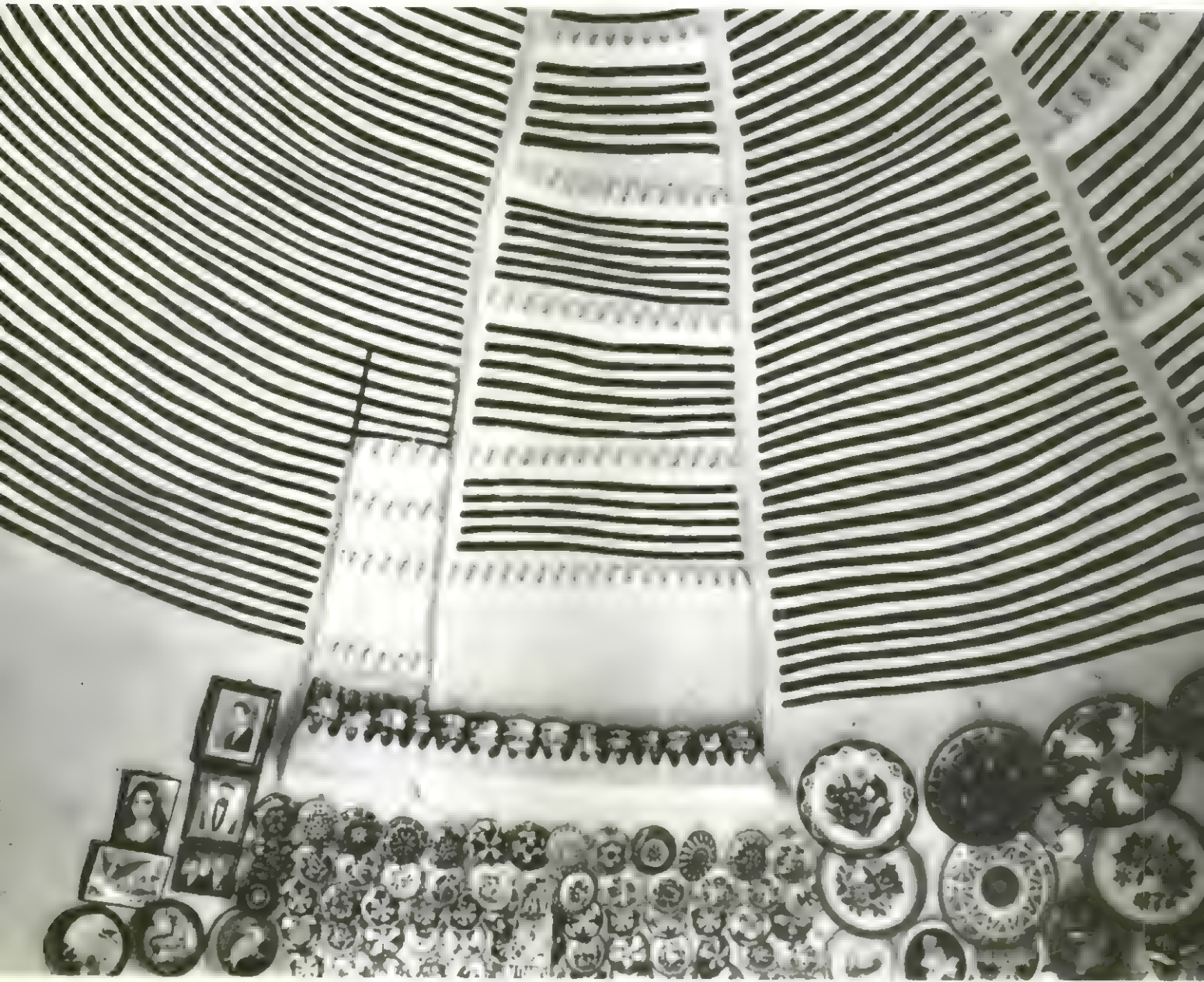
عج بوادي المضاب في الاسحار وترنم هناك بالأوتار
بربا «بي عريش» حيث الغواني لابسات الحجول والأسوار
الصبا والصبابها يا معني وطلوع البدر والأتكار
ليت شعري بها أكون دواما أنمشي في حلة الجلنار
والجدير بالذكر أن أهالي أبي عريش والقرى المجاورة يتحلون باللطف والبشاشة والكرم والبساطة ، فاذا ما حلت بينهم لن تفلت من مجالسهم العربية الأصيلة ليقدموا لك الفاكهة وعلى رأسها الموز الأخضر الذي يفرسونه بكثرة ، ثم يعقب ذلك الشاي المعطر والقهوة العربية .

تعليم وثقافة فنية

تواكب النهضة الزراعية والعمرانية في المنطقة نهضة أخرى لا تقل عنها شأنًا هي النهضة التعليمية . فالمدارس على كثرتها تضيق بالطلاب نظرا للقبال الشديد على التعليم . ففي منطقة جازان اليوم ٦٧ مدرسة ابتدائية للبنين و ١٤ مدرسة للبنات ، و ٤٨ مدرسة ليلية لمكافحة الأمية ، و ٩ مدارس متوسطة . هذا بالإضافة الى مدرسة ثانوية . ومعهد ثانوي للمعلمين ، ومعهد متوسط للمعلمات ، ومعهد علمي في مدينة جازان . وتضم هذه المدارس ما يربو على ١٨٠٠٠ طالب وطالبة في مراحل التعليم المختلفة . وقد أنشئت أول مدرسة في جازان في عهد المغفور له الملك عبد العزيز في سنة ١٣٥٥هـ ، وسُميت باسم «المدرسة العزيزية» . ولم يكن في جازان قبل ذلك مدارس نظامية ، بل كتاتيب ومدارس أهلية يقوم بالتعليم فيها شيوخ من أهل العلم .

وما يدعو الى الاعجاب ان منطقة جازان تضم بين ربوعها عددا من الشباب المثقف الذين يتطلعون دوما الى مواصلة الدرس والتحصيل . فهناك نسبة كبيرة منهم يتلقون تعليمهم الدراسي في جامعات المملكة العربية السعودية والجامعات العربية والأوروبية والأمريكية . ومن بين أبنائها الذين أسهموا في ارساء قواعد الحركة الأدبية والفكرية في المملكة المؤرخ البحاتة والشاعر محمد العقيلي الذي كرس جهوده لابراز تاريخ جازان التي نشأ فيها وترعرع ، فألف كتابه «تاريخ المخلاف السليماني» الذي يعتبر مرجعا مهما لاحداث المنطقة وتطورها . واذا ما دلفت الى مكتبته ، أو صومعته ، كما يحلو له أن يسميها ، تجده يفتح لك قلبه الكبير ويطلعك على المخطوطات النادرة التي في حوزته والتي يبلغ عددها زهاء أربعين مخطوطة ، والتي يأمل أن تتبنى إحدى المؤسسات العلمية طبعها ونشرها . ومن أقدم هذه المخطوطات مخطوطة «ديوان السلطانين سليمان والخطاب الحجوريين» وعمرها ٨٠٠ سنة . وللعقيلي مؤلفات أخرى عديدة منها «شرح وتحقيق ديوان القاسم بن هتيمل» . وابن هتيمل هو من أبناء ضمد . وفضلا عن كون العقيلي مؤرخا وأديبا فهو يعد في طليعة شعراء المملكة النابھين . ومن أدباء جازان أيضا «هزار الجنوب» الشاعر محمد علي السنوسي الذي يأسرك بابتسامته الرقيقة ولطفه المعهود وشراب اللوز الذي يقدمه لك . ثم تسمع منه بعضا من «أغاريد» و«بطونك» «بقلائده»

هذه الأطباق الملونة تستعمل لتزيين المشة من الداخل وتصدر عنها أصوات يأنس بها الجازانيون كلما هبت الريح عليها .



تزرع مساحات شاسعة بين أبي عريش ، وحكمة بالذرة التي يصل علوها أحيانا الى أربعة أمتار ، نظرا لخصوبة الأرض .

حَيَاة بَرِّيَّة غَنِيَّة بِاللَّوْنِ

تنمو في منطقة جازان الواسعة، أشجار الغابات الضخمة التي يستفيد الأهالي من أخشابها الصلبة في صناعة القوارب وبناء العشر ، كالشام ، والقفل ، والرشح ، والعجا ، والعرج ، والائل ، والسمر ، والسدر ، والمض ، والعثيم . كما تنمو في السهول نباتات وأعشاب كثيرة يتخذ من بعضها عقاقير وأدوية منها الدّجر ، والصفج ، والأسب ، والرقم . والسلع ، والحلص ، والغلف ، والبنة التي تجفف أوراقها وتسحق وتذر على الحروق ، والعب للجروح ، والجريّة للغازات ، ورجل القرس للصداع ، والسنا الذي يستعمل كسهل .

وتكثر الحيوانات البرية في الجبال والأودية ، ومنها النمر ، والقرد ، والذئب ، والضباع ، والغزلان ، والظباء ، والوعول ، والأرانب . وكانت هذه المنطقة قديما مسرحا للأسود . فقد ذكر «أحمداني» أن من مواضع الأسود عشر . وتعشر ، وليه ، وعثود . وقد ذكرها ابن مقبل ، فقال :
جلوسا بها الشم العجاف كأنهم أسود بترح أو أسود بعثودا
ومن أهم الطيور التي تكثر في جازان الغراب ، والحداة ، والعقاب ، والصقر . كما يكثر الحمام القمري في الجزر القريبة من جازان ، كجزيرة فرسان وجزيرة « زفاف » . ومن الطيور البحرية هناك العجم ، والخنقران ، والغرنوق ، وهي طيور جريئة تهاجم صيادي الأسماك لتلتهم ما يسطادونه . وبعد ، تلك هي منطقة جازان ذات الطبيعة الخلابة تسير بخطى ثابتة على مدارج التقدم والازدهار نحو غد مشرق .

سليمان الصلح

تصوير : عبد اللطيف يوسف

والأعمدة ، يشارك في اقامته الأصدقاء والأقارب . ثم تصف الكراسي الخشبية العريضة العالية في جنبات «الخدرة» استعدادا ليوم «المقبل» ، أي وليمة الزفاف نهار الجمعة . وعند الانتهاء من رفع «الخدرة» يؤدي الحاضرون رقصة «الكاسر» التي تتميز بأغانيها وألحانها البحرية . وفي يوم «المقبل» تبسط الموائد وتدار القهوة القشر المحلاة بالسكر وأكواب الشاي المعطر على الحاضرين ، ويقعم جو الحفل بالبخور والطيب والعطور . ويتخلل ذلك رقصات شعبية ، أشهرها : «السيفي» ، وهي رقصة صامتة تبدأ بقرع الطبول قرعا حماسيا مشجعا ويقوم بالرقص شخصان يد كل منهما سيف مسلول يلوح به في حركات بارعة ، والدلع وهي رقصة شعبية جماعية بصطف الرجال في شبه نصف دائرة ينوسطهم شاعر من شعراء الزجل يرددون أناشيده على قرع «الزلفة» ، و«المردة» ، والزيفة التي يقف فيها الرجال في صفين متقابلين يتنقل بينهما الشاعر ، ويبدأ الرقص على قرعات الطبول بحركات بطيئة . وفي يوم «المقبل» تنهال على العريس المعونات السخية التي تغطي نفقات الزواج ، وتزيد . وجرى بالذكر أنه في الليلة السابقة لحفل الزفاف يقوم أهل العريس بعرض ما أحضره العريس لعروسه من ثياب وحلي . وتقوم النساء برقصة تسمى «النشيرة» .

ومن الأكالات التي يشتهر بها الجازانيون «المرسّة» : وهي طبق من الحلوى يتألف من الدقيق المضاف إليه الموز المهروس والسمن والعسل ويخيز في «المبغا» أي التتور المصنوع من الصلصال ، و«المقش» ويتألف من اللحم والبهارات والبصل التي توضع في قدر ينحت من الصخور البركانية . ثم يوضع القدر في «المبغا» ، ويحكم غطاؤه الذي يطلقون عليه اسم «المبغا» . أما أشهر أكلة عند الفلاحين فهي «المرزوم» المؤلفة من خبز الدخن الذي يصب عليه الحليب والسمن والسكر .

لن أعاتب

للشاعرة رومية الفلبي

أنا لن أعاتب يا صديقي سوف تحرم من عتابي
فعبير قلبي لن يكون لمن تمادى في عذابي
عتابي دليل الحب والشوق اللهيـف وسر ما بي
لا لن أعاتب لن أعاتب قد رجعت الى صوابي

عتبي لمن يدري الذي أخفيتـه طـي الجفون
ويقدر الحب الكبير وسر شوقي والحنين
ويدور حول خطاي يسأل أينما خطوي يكون
وللمحبة يدري الذي رسم الهوى فسوق الجبين

أنا لا أصدق أن قلبك يا حبيبي قد جفاني
لكن سأحضرن الأسى وحدي وأنهل من زماني
ولسوف أمضي من حياتك لا تسلمهم عن مكاني
فلربما تفتح من عتبي ومن دفء الحنان

اني أخاف عليك ان ودعت من طول الندم
لن تلتقي أبدا بمثلي في الهوى ترعى الذم
قد كنت لي في عالمي في وحدتي أحلى نغم
أنت الذي ضيعتني سهرت دموعي لم تنم

ضيعت منك الحب والتبع الذي يسقيك شهـدا
ضيعت من أمضت لياليها على الأحلام شهـدا
ضيعت من أهدابها كانت ليل هـواك مهـدا
فوضعت بين هـواك والقلب الذي يهـواك حـدا

يا ظالمي أنا ما ظلمتك هل حسبت العتب ظلما
وإذا خيالك لاح لي أهفو أضـم الطيف ضـما
فأنسا أعيش على الخيال على الروى أهـواك حلما
حتى انهاء حرمتـه ولو انني أحياه وهـما

على امتداد الصلة الأدبية ، وعلى بعد ما بيني وبين الشاعر الكبير الأستاذ جورج صيدح من مسافة ، تناولت معه هذا الحديث ، الذي أجاب فيه عن عدة تساؤلات ، تشغل ، ان لم تحتل ، أفكار كثير من المفكرين في الوطن العربي الكبير ...
قلت :

— هل يجوز للأديب العربي ، أن يتمثل الاستكفاء الذاتي في نفسه ، ويستغني عن أدب الغرب ؟
— لا يجوز ذلك لأي أديب ، الا أن يكون متعصبا للأدب العربي ، ما دما ننظر الى أدب الغرب على أنه مورد ضخم من مواردنا العربية التي تكمل ثقافة الأديب ..
وأقل نظرة الى أدبنا العربي ، تجعلك تبحث عن طاق تطل منه على المحيط العالمي ، على الرغم من شموله وإحاطته ، وما يضم من قصور هندسية بديعة ، وقباب خلابة .

على أنه اذا جاز التعصب للأديب العربي في كل شيء ، فلا يجوز له أن يحجب عن نفسه تلك الروافد الفياضة . والدليل على ذلك ، ما يروى عن الخليفة عمر بن الخطاب ، حين نظر الى قوم من قریش ، صغرت أجسادهم ، وضمرت وجوههم ، فقال لهم :
مالكم صغرتم ؟

فقالوا : ان قرب أمهاتنا من أبائنا جنى علينا .
فقال عمر : صدقتم .. اغتربوا وتزوجوا من البعداء تكبروا وتنجبوا .
وليس من شك في أن التزواج بين الآداب ، والتطعيم بين الثقافات ، يثري الثقافة العربية ويعود على كلا الأديين المتزاوجين بما يكمله ، ويعمر به ..

ومن التعنت المقيت الذي لا يفيد الأدب العربي في شيء أن يؤثر الأديب الانطواء على نفسه وأن يكون بمعزل عن الآداب الغربية بغية الاستكفاء ، أو ايثار التعصب ، بينما هو في حاجة الى التطعيم والري بصفة دائمة من مختلف الآداب .

ولما كان الشاعر جورج صيدح يعني كثيرا بشعر المناسبات ، ويشاطر أصدقاءه وهو في مهجره ما هم عليه من أنراح وأفراح ، أردت أن أستطلع رأيه في هذا الشعر ، وهل له أصل في الشعر الأوربي ، وبخاصة انه قد انزوى الآن بعد الهجوم الذي أحاطه من كل جانب ، حتى لم يعد يقوى على الظهور .



الشاعر جورج صيدح

حول القضايا الأدبية المعاصرة

أجراه الأستاذ ابوطالب زيان

قلت له :

— ما رأيك في شعر المناسبات ؟

— لا أدعي جديدا ، اذا قلت : ان فضل المناسبات على الأدب العربي من الجاهلية حتى اليوم ، لا ينكره أحد . فمعظم القصائد التي وصلت الينا في هذه الحقبة الطويلة من الزمن كانت وليدة مناسبات . وما نعرف شاعرا واحدا من القدامى ، نظم في ساعة من ساعات الانفعال اللدني ، ولا شاعرا هزه مشهد من المشاهد الطبيعية وعرض علينا خوالجه تلقائيا .

ويصح لي أن أقول : ان شعر المناسبات ، الجديد منه والقديم ، تأتي بخواطره المناسبات ، وانما تظهره ، اذ يكون الشاعر الحق قد احتزن في مخيلته الخواطر ، ويكون بحاجة الى عامل يهيء جلاءها ، فيجدها في مدح ، أو في تعزية ، أو تهنئة ، الى غير ذلك من المناسبات .

ومن هنا جاء التعدد في المواضيع التي يتناولها الشاعر ، عادة ، فيتطرق الى صور لا تمت الى مجرى المناسبات الا بصلة الوزن والقافية . وعلى هذا جاء التفكك الذي نراه في كثير من شعر المناسبات العصري . ولو كان الانصاف دينا ، لوجب أن نشكر للمناسبات ما أتاحت لنا من بدائع فنية ، كانت لا تظهر الى الوجود لولاها .

من النصفة أن نتقص شعر المناسبات ، ولا أن نوجه اليه التهم ، ولا أن نحمل عليه الحملة التي جعلته يركن الى حين . فلعل الأدباء يستبينون فضله ، ويحمدون له ما فتحه من آفاق ، اذ أمعنا النظر في القنطرة التي مشى عليها صبري وشوقي وحافظ للربط بين الشعرين القديم والحديث . فقصائد الشعراء الثلاثة ، أو قل دواوينهم ، تكاد تكون كلها قصائد مناسبات ، أو قصائد نظمت مداخلها في مناسبات ، ثم كانت فيها المقاطع الطريفة ، والأبيات الرائعة التي أتاحت لشعراء المهجر أن يوقظوا شاعريتهم ويؤدوا رسالتهم لجوالي المغربين . ونظرة عميقة الى الأدب الأوروبي ، نجد أن بعضه ، ان لم يكن جلته ، يعمر بهذه المناسبات التي تعاب على الأدب العربي . ويكفي أن يكون كل من « لامرتين » و « شيلي » و « بيرون » علامة واضحة على هذه المناسبات ، كذا ما صيغ من القصائد الفنية الخالصة ، وما قيل في البحر والطبيعة ، وما وصفت به المدينة المفتحة وما استوقف الشعراء والأدباء .

وما لنا نبعد كثيرا .. أليس وقوف الشاعر تجاه البحر ، وما يلتفت نظره في هذا المدى البعيد المليء بالأسرار ، شعر مناسبة ؟

أليس ما يهزك ، ويحرك مشارك أمام أي منظر من المناظر : طبيعية كانت أم اصطناعية ، شعر مناسبة ؟

وهنا بدا لي أن أوجه هذا السؤال الى الشاعر : — ما هو أحب شعر المناسبة الى نفسك ؟ قال : ذلك الذي لا يركن فيه الشاعر الى تلك النغمات المنكورة ، أو الى ذلك الذي يعاب ! ولقد كان لي شخصا تجربة رائدة ، ضربت بها المثل أمام الشعراء عندما أنشأ المواطنون في الأرجنتين فرعا لمصرف ، ودشنت الجالية هذا الفرع ، فأعلنت هذه الحقيقة بتلك المناسبة :

مضى بنا الدهر من حال الى حال
يا دولة الشعر حيي دولة المسال
تطور القوم ، مالي لا أهنتهم
وقد أصابوا ثراء بعد اقلال
أشباع مال تلاقوا عند كعبه
وكان عهدي بهم أشباع موال
هذي عكاظ دنائير مفهومة
بل المباراة في حملان أثقال
تصرف بحفظو الناس هائلة
بالعاكفين على تصريف أعمال

لا وزن للمرء لم يظهر بوزنتها
هل يستضاء بنور تحت مكيال ؟
وجدت نفسي غريبا عن منابرها
لا صوت يسمع الا صوتهما العالي
تكب الروح عنها فهي في نظري
مهما تأنق بانووها كأطال
وعدت من حطة التدشين أنشدتها
واها على خيمة في المربع الخالي

على أن أهم الظواهر التي تلفت النظر في حياة الشعراء ، وبخاصة الذين يحبون الأسفار منهم ، ويحتفلون بها ، تلك الظاهرة التي يبحث عنها الشاعر في حنايا الجمع ، ويشد إليها في وسط ذلك الزحام الذي يكون في وداعه في محطة من محطات السكك الحديدية .

ولقد عرف الشاعر جورج صيدح بأسفاره العديدة ، فآلته عن ذكرياته في أسفاره وعما وقع له في رحلاته ؟

— منميزات الشاعر الحقيقي ، أن يمر بالمشهد الذي يمر به الناس ، وان كانوا لا يرون فيه الا صورا لا تستحق أن تشغل فسحة من فراغ

خواطرهم ، فيرى فيه صورا فنية تتلاحق زاحرة بالخوالج فيعرضها من خلال الكلمات الموسيقية : عرسا للفكر والأذن .

ما تستوقف الشاعر هذه المناظر المبدعة ، فيمنحها من روحه حركة لا عهد للناس بها ، وجمالا من ابداعه لم يكونوا ليلمحوا له أثرا ، سواء رآها بأب عينه ، أم بعين خياله فيلم بسائر دقائقها ، ويجلو كل خافية فيها جلاء كاملا شاملا ، فاذا نحن أمام دفقة من الحياة كاد يفوتنا الاطلاع عليها .

والواقع ان منظر هذا الوداع وان يكن في مظهره بسيطا ، الا انه لا يكون في نفس الشاعر الا محيطا برمته ، يمر بالأحاسيس المتباينة ، والصور الصادقة دون الالتجاء الى التزيين والمغالة . فالشاعر في « المحطة » ، وهو يوشك أن يركب القطار ، يكلم الناس الذين قدموا لوداعه ، لكن قلبه يحوم حول أحدهم . ويندفع بكلية حول شخص بذاته ، يقف صامتا ، لا يعبر الا بخلجات مبهوتة ، ونبضات قلما تكون الا فيه هو .. والشاعر ينجذب الى هذا الذي يتطلع اليه بقلبه من دون الناس جميعا ، فيروح في ذهول ، ينتج عنه هذا الأدب الذي يصح أن يسمى « أدب الوداع » .

فقلت للشاعر : — هل وقعت لك تجربة من ذلك ؟ — هي تجارب ، ولكنني أذكر واحدة ، وحيدا لو جمع الشعر الذي قيل في هذه الناحية في ديوان ، تسجيل لهذه الخواطر التي طالما هزت النفس ، وأثرت ألبما تأثير . ولست أبالغ اذا قلت : انها فلتات تعد في قمة المناسبات التي تضاف الى الأدب .

كان من بين المودعين لي في أحد أسفاري ، فتاة راعني بسكونها وسكونها ، فرحت أنطلع اليها دون علمها ، ودون أن يلتفت الي بصرها ، فلم يسعني بعد أن تحرك القطار ، وراجعت نفسي الا أن أقول لها :

سكونك أحسن من الشامتين
فلا تحرجني موقفي ، لو لري !
حضرت وداعي وفكرك ساه

شريد ، كلنك لم تحضري !
ثم قال الشاعر : « .. وكان هذا أيام زمان ..
أما اليوم ، فأنا في عزلة ، أونسها بالتأملات
وأشبع نهم روعي بالمطالعات ، وأرقع شيخوختي
بالمستشفيات . »

قصة

فدرة الصدقة سعاد

بقلم الأستاذ فاضل السباعي



تقلبَت «ريمة» في سريرها . ثم أرسلت ناظر إليها ، عبر النافذة الشرقية ،

نحو الفضاء الدامس .. وزفرت :

— ما أطول هذه الليلة !

وحاولت ، دون جدوى ، أن تغمض جفניה على عينيْن قد استعصى عليهما النوم .

— ألن تطلع ، اليوم ، شمس النهار ؟ !

ثم حانت منها التفاتة الى أختها «لمى» ،

الهاجعة في سريرها ، تغطّ في نوم هانئ . فتهتفت

بينها وبين نفسها : «الحفلة» ، آه ، قد أقمناها ،

وكان «الرَّيْع» مبلغا طيبا ! كيف أنت ،

الآن ، يا «سعاد» ؟ لبتك كنت معنا مساء

أمس ، ورأيت بأَم عينك أي فن أبدعنا ! ولكنها

استدركت في أسى : وكيف يمكنها أن تحضر ؟

هل في وسعها أن تسير على قدميها ؟ !

...

وعادت الذاكرة بـ «ريمة» الى ما قبل الأيام

الخمسة التي مضت . فقرأت لها رفيقتها سعاد ،

وهي تسير وإياها الهويناء في باحة المدرسة ...

فاذا سعاد تتلقّى دفعة عشواء من بنات طائشات

كنّ يتراكضن ، فتنتطح أرضا ، وتطلق صرخة

حاددة ، ثم .. تروح في اغماءة ! وتتجمع حولها

بنات المدرسة ، هلعات ، صائحات ، مشفقات .

وسرعان ما تستدعي المديرية الاسعاف بالمهاتف ،

ليزقن ، بعد قليل ، نقيب سيارة ينزل منها رجلان ،

ومعهما «نقّالة» يحملان عليها سعاد ، ويمضيان

بها الى المستشفى ! ومن هناك جاء النبأ الأليم :

«سعاد الطيبة ، قد كسرت ساقها !» .

واستشعرت ريمة ، منذ ذلك اليوم ، حزنا لا

مزيد عليه . فقد دخل في روعها أنه كان يسعها

— لو أنها كانت أكثر حذرا وأسرع بديهة — أن

تقي رفيقتها شرّ السقطة ، وهي التي بصرت

بالطائشات وهن يندفعن اندفاعهن الجنوني

نحوها ! وما زاد في حزنها أن سعاد من أسرة رقيقة

الحال ، فأبوها بائع متجول ، وهم يسكنون قبوا

لا تدخله الشمس ولا يتخلله الهواء . ولكنها أحست

فرحا حينما عرفت ، في اليوم التالي ، أن ادارة

المدرسة قررت أن تدفع من «صندوق التعاون»

نفقات العلاج كلّها . بل ان معلمتين من معلمات

الصف ، قد تعهدتا بالذهاب الى بيت سعاد

لتلقينها دروس الحساب والقواعد ، الى يوم

تستطيع السير على ساقها !

وليسَت تدري ريمة ، في غمرة الأريحية

التي عصفت بادارة المدرسة ،

كيف تفتّق ذهنها ، هي الأخرى ، عن

«فكرة» فيها خير لرفيقتها التي تشاظرها الجلوس

في مقعد واحد . وما أسرع ما سكبتها في أذن

أختها الصغيرة «لمى» ... فاذا لمى تستطير فرحا ،

واذا هما تسعيان ، حالا ، الى حيث المديرية !

وعلى باب الادارة سألتهما «المحافظة» عما

تبغيان ، حتى تستأذن لهما بالدخول . فواشكت لمى

أن تفصح ، لولا أن نحتما ريمة جانبا لتقول :

— نريد أن نعرض على السيدة المديرية «اقتراحا»

بشأن رفيقتنا سعاد !

ثم ان ريمة عرضت على المديرية اقتراحها :

أن تقام ، في صالة المدرسة ، حفلة صغيرة ، تقدّم

فيها كل تلميذة ذات فن شيئا من فنّها يسر

البنات ، ويكون حضور الحفلة لقاء «رسم»

تدفعه كل منهن .. ثم يشتري بالحصىلة شيء

نافع تقدمه التلميذات الى سعاد ، القعيدة في

بيتها ، تنسيها بعض مصابها !

التمعت عينا المديرية — كذلك لاحظت ريمة —

قبل أن تتوجه بالسؤال الى أختها :

— وماذا يمكنك أن تقدمي من فنك ، أيتها

الصغيرة لمى ؟

أجابت لمى :

— أغني أغنية «ماما يا حلوة» !

— وأنت ، يا ريمة ؟

أعلنت ريمة مزهوّة :

— أعزف على الكمان عزفا بتّ أحسنه بعد

طويل التمرين ، يا آنسة !

وهنا قالت المديرية ، وقد أشرق وجهها

بابتسامة :

— انكما لتؤكّدان للادارة دائما أنكما تلميذتان

محبتان للفن . يورك فيكما . (ولكنها

أضافت ، وقد اتخذت هيئة أخرى) اسمعي

يا ريمة ، وأنت يا لمى : لقد خرجنا ،

بالأمس ، من الامتحان الأول . ومثل هذه

الحفلة تحتاج الى تحضير وتدريب ...

ومعلماتكن مشغولات ، هذه الأيام ،

بتصحيح أوراق الامتحان واعداد النتائج !

وأضافت : على كل حال ، لقد قامت

ادارة المدرسة بأداء واجبها نحو زميلتكما

سعاد ، كما تعلمان ، أيتها العزيزتان !!

خرجت ريمة من غرفة الادارة ، وقد استبد بها حزن . وما كان ليخفف من عظيم حزنها أن المديرية ودعتها ، هي وأختها ، بصوت بلغ سمع المحافظة على الباب :

— أشكر لكما مشاعركما النبيلة ، سلّما على أمكما !

فان ألف شكر عندها لا يعدل أداءها فنّها أمام « الجمهور » لحظة واحدة ، ولا احساسها بصنيع الخير تجاه صديقتها الحميمة سعاد !

جاءت أمها ، مساء ، تبكي ، وقصّت عليها ما كان من اقتراحها ، ومن اعتذار المديرية ! فأبدت أمها اعجابها بالفكرة ، بقدر ما أسفت للاعتذار .. ولكنها طيبت خاطرها بأن معونات قد قدّمت الى رفيقتها ، فلم هذا الحزن كله ، وعلام البكاء ؟ وما فات أمها أن تحدث أباه ، والأسرة مجتمعة على مائدة العشاء ، بالاقتراح ، وبالاعتذار ، وبالبكاء جميعا . ومن عجب أن رأت ريمة أختها الأكبر « خالد » يستفصحا :

— هل لي أن أسألك سؤال المديرية ، يا ريمة : ماذا في وسعك أن تقدّمي على المسرح ؟

قالت ريمة :

— وأجيبك جواب المديرية : أعزف على كمان ! ففقهه خالد بفضاظة :

— أجل ، تلك الآلة التي نقيت آذاننا باللعب عليها في تمارينك الاسبوعية !

فعاتبته أختها « سوسن » :

— أراك تسخر ، يا خالد ؟

وأبوها معتمص بالصمت ، وكأنه غارق في تفكير — بل أنا أتحقق من مقدار ما تملكه أختانا من الفن ! وأنت ، يا لمي ؟

— أنا أغني أغنية ، واثنين ، وثلاثا ... أتريد أن أسمعك ؟

— لا . بالتأكيد . ليس على الطعام ! وماذا عندكما غير هذا ؟

وقد اندفعت ريمة ، ههنا ، تقول بحماسة ، بينما كان أخوها « سعد » الصغير ينقل ناظره بين الوجوه :

— ان أردت الجدّ .. لو أن المديرية تعهد الينا ، أنا ولمي ، بملء برنامج الحفلة كله ، لما صعب علينا !

فهتف خالد :

— الله ، الله ! لأنكما فنانتان قديرتان ! وأحست ريمة أنها تهان . وهمت بأن ترد على أخيها الكبير بما ... لولا أن زجره أبوها ، الذي خرج أخيرا عن صمته :

— كفّ عن هذا ، يا خالد !

ولكنها تدعي ادعاء عريضا ، يا أبت ! وتوجه اليها أبوها بالسؤال :

— أنت واققة ، يا ريمة ، من أنك لا تغالين في تقدير مواهبك ؟

— أجل ، يا أبي . وان المسألة أبسط مما يتصور أخي خالد . أستطيع ، أنا ولمي وعدد من زميلاتي أختارهن ، أن نمثل أكثر من تمثيلية صغيرة مما نشاهد في التلفزيون .

— ولتحضير لهذا « المشروع » ، ألا يشغلكن عن دروسكن ؟

— ساعة في اليوم ، أو ساعتان ، على مدى ثلاثة أيام أو أربعة .

— طيب .. (وأمعن تفكيراً) ما رأيكما ، أيتها الفنانتان البارعتان ، في اقامة حفلتكما .. هنا ، في البيت ؟ وتدعوان الرفيقات

لحضورها ؟ (واستدرك) طبعاً ، بعد الاستئذان من ربة البيت ، أمكما .

تصدّق ريمة هذا الذي تسمعه ؟ أذاها . فالتفتت الى أختها لمي ، فوجدتها مبهوتة هي الأخرى ، فلكرتها بمرفقها :

— قولي شيئاً ، يا لمي ! لماذا أنت صامته ؟ وماذا أقول ؟

— قولي اننا موافقتان !

هتفت لمي من فرط الفرح :

— يعيش بابا !

وهمت ريمة بأن تردد الهتاف : « يعيش ، يعيش ! » ، لولا أن أمها انبرت تسأل مقطبة الجبين :

— ماذا ، يا أبا خالد ؟ حفلة تقام في بيتي ؟

— نعم .

— وعلى أي « مسرح » من « مسارح » البيت ترى أن نقيمها ؟

— على « مسرح » نعدّه في « قاعة الاستقبال » ، يا عزيزتي ! وانها لمكان فسيح .

— والأثاث الذي فيه ؟

— نزيح بعضه جانباً ، ولا خوف على بعضه الآخر .

— أوتحسب أنه ينقصني مزيد من التعب والشقاء ، حتى تقترح اقامة « حفلة عامة » في بيتي ؟ !

— ولكن البنيتين ، كما ترين أيتها العزيزة ، راغبتان في أداء فنهما وفي صنع الخير . والمديرية اعتذرت . فلتع ، نحن ، لهما الفرصة . أي ضير ؟ ان التربية الحديثة تحتم على الأهل أن يتبنوا « مشروعات » أولادهم ، ما دام رائدها النفع الخاص والعام .. وأن

يشجعوهم عليها ، ويحضوهم حضاً . وانك
لربة بيت تقدرين ..
ورأت ريمة أمها وهي تهز رأسها ، أمام منطق
أبيها الراجح :
— حسن ، لا بأس .. اذا وعدتني البنات
بالمحافظة على النظافة والهدوء والنظام !
هتفت ريمة ولى بصوت واحد :
— نعدك ، يا أمه .
وعلا ، فجأة ، صوت سعد الصغير ،
— ريمة ! أريد أن أشارك معكما في التمثيل !!
وأعلنت سوس :
— أنا أعدت لكم حواراً سهلاً عن قصة
« سندريلا » !
وهتفت لى من جديد :
— تعيش ماما الحبيبة !
فرددت ريمة :
— تعيش ، تعيش ! (وأضافت) أنت أحسن
« ماما » في الدنيا !
وكان لا بد لريمة من أن تشيع ، في اليوم
التالي ، الخبر في المدرسة : حفلة تقيمها في بيتها ،
تحضرها من ترغب من التلميذات لقاء « رسم »
معلوم ، ليشتري بالربيع هدية تقدم إلى العزيرة
سعاد ! فتهافت عليها البنات ، ما بين متسائلة ،
ومهتة ، وراغبة في الحضور ، وحريصة على
الاشتراك في تقديم فنها الجميل !
وأما أخوها خالد ، الذي أبدى سخره في اليوم
السابق ، فقد عرض الآن خدماته بأن يقوم بدور
« المخرج » ! فيما عكفت سوس على اعداد
نص مبسط لقصة « سندريلا » ! ولكن سعاد
الصغير أبى ، باصرار عتيد ، أن يكون في عداد
المتفرجات ! فما كان من ريمة إلا أن اقترحت عليه :

— أنت تقدم أنشودة « وطني » !
وقد نشطت الأسرة ، في يوم الحفلة ، نشاطاً لا
عهد للبيت به : فأخليت قاعة الاستقبال من
بعض أثائها .. وأقيم « مسرح » من منصات ضم
بعضها إلى بعض ! ورفع في مقدمته ستار
عريض ! وصفت الكرامي ، ما هو في البيت منها
وما استعير من بيوت الجيران ؟ وتوافدت بعض
البنات مبكرات ، ليقمن بآخر التجارب التمثيلية .
وكان سعد الصغير يساعد في الترتيب قليلاً ،
ويعبث بنظام الحفلة كثيراً . وما كفّ عن عبثه
إلا حين هددته ريمة بالغاء دوره إن لم يركن
صنيع الأطفال العاقلين !
وتوارد جمهور المشاهدات في الموعد المحدد .
وكان أمراً شيقاً لريمة ، وممتعاً لها غاية الامتاع ،
أن ترى إلى المتفرجات ، وهنّ يجلن بأبصارهن
في الأرجاء ، فيرين الستار ، وهو ملاءات قد
خيّط بعضها إلى بعض ، ثم شدّها من أعلاها
حبل رفيع . وعلى أحد الجدران ، هناك ، علقت
لافتة كانت أمها قد أشارت على لى أن تخط
عليها : « حافظي على الأثاث يا أختاه » ! وما
كان ليفوت لى أن تصنع أخرى تقول فيها :
« ممنوع أكل الفصفص » !
افتتحت ريمة الحفلة باسم الله الرحيم الرحيم .
ثم أفاضت بالحديث عن دواعي إقامة هذه
الحفلة « المتواضعة » ، مؤكدة محبتها لصديقتها
العزيرة سعاد ، مشيدة بأخلاقها الرضيّة ، ومذكّرة
بما استشعرته الرفيقات من حزن لما أصابها في باحة
المدرسة في ذلك اليوم المشؤم !
ثم أدت بعض البنات الأناشيد على المسرح .
وعزفت ريمة على كمانها لحناً مما تلقّنت ، فأبدعت
في العزف ، وصفق لها الجمهور طويلاً ! وكذلك

صفقن لللى اذ غنّت بصوتها الخنون : « ماما
يا حلوة » !
حتى اذا حان دور سعد الصغير ليؤدي
أنشودته الوطنية ، أشفق على نفسه من « مواجهة
الجمهور » .. فاذا هو يولّي هارباً ، تاركاً
القاعة لروادها ، ليتوارى في ركن عميق من
أركان البيت ! وحاول أبوه ، عبثاً ، بثّ الطمأنينة
في نفسه لعله يغريه « باعتلاء خشبة المسرح »
فالمتفرجات ينتظرن ، مما اضطره آخر الأمر إلى
أن يستعين بخالد ، الذي حمّله بين ساعديه
وحطّه على المسرح ، بين تصفيق المتفرجات
وتشجيعهن .. واذا الخجل يزايله ، فيروح ينشد
بجرأة وحماسة ! بل انه ، بعد أن استعذب ما
حظي به من التصفيق والاعجاب ، راح يتعلق
بأذيال أخيه ، مطالباً إياه بالحاح ، أن يعيده إلى
المسرح لينشد مرة أخرى !
وقدّمت ريمة ولى وصويحاتهما ، تمثيلية
« سندريلا » . وكان خالد قد اتخذ له موقفاً خلف
« الكواليس » ، يلقّن منه « الممثلات » أدوارهن ،
ويوجههن بصوت خفيض !
وقد انفردت لى بالمسرح ، مرات ، لتحكي
حكايات : « عقلة الأصبع » و « القدّاحة
العجيبة » و « تمر حنة وعصفور الجنة » ..
تقلّبت ريمة في سريها ، وهي ما تزال ترتق
في سماء ذكرياتها القريية : كل شيء قد سار ،
في الحفلة ليلة أمس ، على ما يرام : ما كدّر عليها
هناءتها إلا أن الحبل ، الذي شدّه به الستار ، قد
انقطع قبيل نهاية الحفلة ، فأثار هرجاً بين البنات !
لشد ما جعله خالد رفيقاً واهياً !
— ولكن .. ما بال شمس النهار لا تشرق !

لقد كان ربيع الحفلة مبلغا طيبا ! حتى أنها وجدت نفسها تصيح ، في انصراف البنات ، طربا :

— ماما ! ان الربيع أكبر مما توقعنا . أنظري ، يا ماما !

وأضافت لى :

— لقد امتلأت القاعة بـ « المتفرجات » ، حتى أننا بكراسي الحمام الصغيرة .

ولكن أمها ما أبدت فرحة ، بل هزت رأسها في أسف ظاهر :

— أجل ، أيتها الفئتان البارعتان ! لقد قلبتما لي البيت رأسا على عقب ! كم يتعين عليّ أن أشقى ، طوال غد ، قبل أن أعيد كل شيء الى موضعه !

على حين سأل أبوها ، وقد كان يصغي :

— ماذا تنوين أن تشتري بالمبلغ لصديقتنا سعاد ، يا أم خالد ؟

أجابت ، وقد تطلّقت أساريرها بعض الشيء :

— لا أرى خيرا من معطف صوف بقي البنت برد الشتاء ، متى سارت في القريب على قدميها . وهتفت ريمة ، وهي ترسل ، من جديد ، ناظرها نحو الفضاء :

— هوذا الفجر قد أسفر !

وفكرت : لقد كانت ليلة ، رغم السّهاد ، من أعذب الليالي ! حلمت ، في السويحات القليلة التي أغفت ، أنها تعزف على مسرح حقيقي ، في صالة تضم جمهورا من المتفرجات غفيرا .. تعزف على كمانها ألحانا صعبة الأداء ، انتزعت بها الاعجاب ، واستحقت الثناء والتقدير ، فقررت المدرسة أن .. توفدها للدراسة فن الموسيقى في ديار الغرب !!

بل انها حلمت أنها نزلت مع أمها الى السوق ، واشترت معطفا صوفيا رائعا .. وحملته الى المدرسة ، وعرضته على المديرية التي سألتها : « ما هذا ، يا ريمة ؟ » : أجابتها مزهوة : « انه لصديقتي سعاد . اشتريته من ربيع الحفلة التي أقمناها في بيتنا ، يا آنسة ! » ، وودت لو تكمل :

« الحفلة التي رفضت اقامتها في المدرسة ! » ..

فازداد اعجاب المديرية بحماسها ، وفتها ، وجبها للآخرين . ثم انها أخذت منها المعطف الجميل ، لتطوف به على التلميذات في قاعاتهن : « انظرن ، يا بناتي ! هذه ثمرة جهود ريمة ، وأختها لى ، وموازرتكن . انه هدية لزميلتكن العزيزة سعاد ! » . والبنات ، في ذلك ، يتمتمن مفتونات : « يا سلام ! أختان فئتان منذ الصغر ! » ..

وهتفت ريمة ، أخيرا :

— هي ذي الشمس .. قد طلعت !

.. . .

حملت ريمة صندوقا من المقوى ، قد لف بقرطاس زاهي الألوان ، وعقد بشريط حرييري أحمر . وتوجهت به الى بيت صديقتها سعاد ، ترافقها لى واحدى رفيقات المدرسة .

رأت سعاد أمضجة في فراشها ، تحوط بساقها الأربطة البيضاء ، ويخالط وجهها شحوب أصفر . قدمت اليها الصندوق . فتساءلت سعاد في استعجاب :

— ما هذا ، يا ريمة ؟ !

— لقد أقمنا ، في بيتنا ، حفلة تمثيلية ، يا صديقتي .. حضرنا رفيقات المدرسة . وتابعت لى :

— وجعلنا الدخول اليها لقاء رسم . فتجمع لدينا ما اشترينا به هذه الهدية لك .

فضّت سعاد الصندوق الكبير ، في لفة وشوق . واذا وقعت عينها على المعطف الجميل ، راحت تشكر صديقتها ريمة وأختها لى ورفيقاتها . ثم ما لبث أن ندّ عنها صوت راعش :

— كنت أتمنى .. لو أتيج لي أن أشهد الحفلة مع رفيقاتي ، فاني أكون أكثر سعادة !

وسرعان ما أعلنت ريمة :

— اننا على استعداد لأن نعيد الحفلة ، متى تم شفاؤك .

— شكرا ، شكرا ، يا صديقتي .

وأضافت لى :

— وزيد عليها مشاهد جديدة ، وأغاني ، وحكايات !

وضمت سعاد المعطف الجديد الى صدرها ، وقد اخضلت عينها بدموع الفرح ، وقالت :

— لقد أنسىمتاني مصابي ، أيتها الصديقتان النيلتان .

.. . .

وفي طريق العودة الى البيت ، أكّدت لى :

— في الحفلة القادمة ، التي ستحضرها سعاد ، سنشدّ الستار بحبل متين ، لا يكون رفيعا ولا واهيا ! فلكرنا ريمة بمرقها :

— فكّرنا أولا ، يا أختنا : من منا التي تجرؤ على مفاتحة ماما باقامة حفلة ثانية في البيت ؟ !

فما كان من لى الا أن غمغت ، وعيناها الى الأرض :

— آ... حقا ، حقا !

أخبار الكنف

• « غزو الفضاء » عنوان دراسة واسعة للعلامة الدكتور فؤاد صروف تناول فيها جميع المراحل التي مهدت لنزول الانسان على القمر ووضح صورة الكون والفضاء ، وبحث امكان نزول الانسان على كواكب أخرى .

• حقق الدكتور ابراهيم الكيلاني « رسائل أبي حيان التوحيدي » وجملتها تسع رسائل بعضها في الأدب والعلوم والاجتماع ، وبعضها موجه الى الوزراء والأعيان والفضاء في عهده .

• ومن كتب التراث التي حققت أخيرا « ديوان صقر الشبيب » وقد حققه الأستاذ عبد الستار أحمد فراج ، و « مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليه » ليعقوب بن شبيب وقد حققه الدكتور سامي حداد في طبعة ثانية مراجعة ، و « معجم متخير الألفاظ » لأحمد بن فارس وقد حققه الأستاذ هلال ناجي ، و « تثبيت دلائل النبوة » للقاضي عبد الجبار الهمداني وقد حققه في جزئين الدكتور عبد الكريم عثمان .

• يواصل الأستاذ عبد القادر عياش اصدار أجزاء جديدة من « الموسوعة الفراتية البكر » التي تتناول جوانب من تاريخ وادي الفرات ومأثوراته الشعبية وأحواله الاقتصادية والاجتماعية . وقد أصدر حتى الآن ١١١ حلقة في هذه الموسوعة آخرها عن « الخيول العربية » و « الابل » و « الغزال » في وادي الفرات .

• العلامة الدكتور فيليب حتي يصدر له قريبا في الولايات المتحدة كتاب عن « الحواضر العربية في تاريخ العالم الاسلامي » يتناول فيه مكة المكرمة والمدينة المنورة ودمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة .

• « فكر الفيلسوف أفلوطين » عنوان كتاب جديد باللغة الفرنسية وضعه الدكتور نجيب بلدي .

• ومن كتب التراجم والسير التي صدرت حديثا « تراجم الاعلام المعاصرين في العالم الاسلامي » للأستاذ أنور الجندي ، و « شخصيات اسلامية معاصرة » للأستاذ ابراهيم البيهني ، و « الغزالي » للمستشرق كاره دي غو ، وقد ترجمه العلامة الراحل الأستاذ عادل زعير وقدّم له الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، و « ابن حزم الأندلسي » :

حياته وأدبه » للدكتور عبد الكريم خليفة ، و « قادة فتح بلاد فارس » و « قادة فتح بلاد الشام » والجزء الأول من « قادة فتح المغرب العربي » والكتب الثلاثة من تأليف الأستاذ محمود شيت خطاب .

• من الكتب الاسلامية التي صدرت أخيرا الجزء الأول من « الرازيات » وهو في المدايح النبوية وقد ألفه الأستاذ أبو بكر أبو بكر عبد الرزاق ، و « مقومات الانسانية في القرآن » وهو في جزئين للدكتور أحمد مهنا وقدّم له الدكتور محمد عبد الرحمن ييصار ، و « دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه » للأستاذ محمد مصطفى الأعظمي ، و « غزوة بدر الكبرى » و « غزوة أحد » و « غزوة الأحزاب » و « غزوة بني قريظة » وكلها من تأليف الأستاذ محمد أحمد باشميل .

• في التاريخ الاسلامي ظهر كتابان هما « تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الاسلام » للمستشرق رينولد نكلسن وقد ترجمه الدكتور صفاء خلوصي ، و « نظرات في دراسة التاريخ الاسلامي » للدكتور عبد الرحمن الحججي . كما صدر كتاب « من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية » للدكتور محمد عبد الرحمن مرجيا .

• من الدواوين الشعرية التي صدرت مؤخرا هذه الطائفة : « أجنحة بلاريش » للشاعر الكبير الأستاذ حسين سرحان ، والجزء الثاني من ديوان « نسمات الجبل » للشاعر المهجري فيليب لطف الله ، و « مسافر بلا تاريخ » للشاعر محمد أحمد العزب ، و « وجه على رصيف روماني » للأستاذ محمود الظاهر . كما صدر ديوان « قضايا ومجامر » للسيدة ثريا ملحس وهو مجموعة من الشعر الفلسفي التأمل .

وفي الوقت عينه أصدر الشاعر الأستاذ أحمد عبد المجيد كتابا عنوانه « لكل أغنية قصة » سرد فيه تاريخ وملابسات بعض الأغنيات في القديم والحديث .

• أصدرت جماعة مشروع تحفيظ القرآن الكريم بالملكة العربية السعودية تقريرها السنوي الثالث عن أعمالها من غرة محرم ١٣٨٠ حتى نهاية ذي الحجة ١٣٩٠ .

• صدر مؤخرا للأستاذ عبد الله بن محمد بن خميس كتاب بعنوان « المجاز بين اليمامة والحجاز » .

• صدر مؤخرا كتاب « الادب في خدمة الحياة والعقيدة » وهو بحث يقع في ٢٥٢ صفحة من الحجم الكبير قلّمه الطالب في كلية اللغة العربية بالرياض ، عبد الله بن حمد العويشق بإشراف الدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا ، فنال درجة الامتياز ، وقد قامت الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية بالرياض بطبعه على نفقتها ■

كتب مُهداة

حظيت مكتبة القافلة مؤخرا بالمؤلفات التالية :

• « الكواكب الدرية في السيرة النورية » تأليف بدر الدين ابن قاضي شهابية ، وتحقيق الدكتور محمد زايد .

• « القصة في الأدب العربي وبحوث أخرى » للأستاذ محمود تيمور .

• « رسائل في النحو واللغة » ويشتمل على ثلاث رسائل هي : « في تمام فصيح الكلام » لابن فارس أحمد بن زكريا بن حبيب الرازي . « الحدود في النحو » لعلي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرمّاني . « منازل الحروف » للرمّاني أيضا . حققها وشرحها وعلق عليها الدكتور مصطفى جواد ، ويوسف يعقوب المسكوني . وهو من سلسلة كتب التراث الصادرة عن وزارة الثقافة والاعلام العراقية .

• « الشريف الرضي » للأستاذ محمد عبد الغني حسن ، وهو ضمن سلسلة نوايغ الفكر العربي الصادرة عن دار المعارف بمصر ■

وسائل زراعية حديثة تساعد على نمو النبات

تسهل القنوات المغطاة باللدائن جريان الماء في المزارع وتقلل من ترسب الأملاح في التربة ومن نمو النباتات غير المرغوب فيها في القناة ، كما تحافظ على مستوى الماء في التربة .
تصوير : علي محمد خليفة



المجلس الأعلى للمعوقين في مصر، الذي تم إنشاؤه في عام 1992، هو الهيئة الحكومية المسؤولة عن تطوير وتنفيذ السياسات والبرامج المتعلقة بالمرءات المعوقات. المجلس يتكون من ممثلين من مختلف الوزارات والهيئات الحكومية، بالإضافة إلى ممثلين من المجتمع المدني. من بين المهام الرئيسية للمجلس:

وكان من حصيلة هذه التجارب العلمية أن استحدث خبراء الزراعة مؤخرا مستحلبا من الشمع البرافيني يطلى به النبات ، فيحفظ رطوبته ، ويجعل نموه سريعا ومتسقا ، ويسهل على المزارعين عملية نقل الغراس من المشاتل الى الحقول دون الاضرار بتركيبها العضوي وبقدرتها على النمو الكامل السريع .. ويعرف هذا المستحلب علميا باسم «فوليكوت - Folicote» . كما توصلوا الى ابتكار وسائل أخرى أثبتت جدواها وفعاليتها في تحسين الزراعة وزيادة الانتاج ، من بينها قماش خاص أطلقوا عليه اسم «القماش الجبني - Cheese Cloth» يفرش فوق المزارعات ويكون بمثابة غطاء يقيها هبوب الرياح وشدة الحرارة اللتين تؤثران في نسبة نموها وانتاجها . ومن المعروف أن مزارعات الخضار تفقد قدرا كبيرا من الرطوبة اللازمة لبقائها ونموها ، وخاصة أثناء عملية نقلها من المشاتل الى الحقول المخصصة لغرسها ، فنقصان نسبة الرطوبة في النباتات يتسبب في تلف جزء كبير منها لأن الرطوبة تبخر من خلال الثقوب الدقيقة في الأوراق ، ولأن الجذور في هذه الحال تكون رقيقة لا تقوى على امتصاص كميات كافية من الماء الموجود في التربة عند ازديادها للتعويض عما تفقده من الرطوبة مما يترتب عليه تباطؤ في النمو ، الأمر الذي يضطر المزارعين الى استبدال الكثير من الغراس بأخرى .

ويستخدم هذا القماش الجبني المصنوع من اللدائن كأغطية تفرش فوق الغراس على ارتفاع ثلاثة أقدام ، ثم يجري ثقبها حيث يسمح بدخول الهواء إليها ، وميزة هذه الأغطية أنها تساعد على حماية الغراس من العوامل الجوية القاسية التي تتعرض لها ، خاصة أثناء المرحلة الأولى من نموها . وتظل هذه الأغطية مفروشة حتى يصل ارتفاع الغراس الى ما بين ثماني وعشر بوصات ، تنقل بعدها الى الحقول ذات التربة الخصبة المجهزة بوسائل الري الحديثة .

ومن ناحية أخرى فقد استخدمت هذه الأغطية اللدنة في تغليف قنوات ماء الري كخطوة عملية تسهل جريان الماء في المزارع وتقلل من الأملاح في التربة الناجمة عن تسرب كميات كبيرة من المياه إليها وتحول دون تكاثر النباتات غير المرغوب فيها في القنوات ، بالإضافة الى محافظتها على مستوى الماء في التربة .

وعلى غرار طريقة استخدام الأقمشة الجبنة ، الآنف الذكر ، أجريت مؤخرا أول تجربة من هذا النوع في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية بالتعاون بين قسم المساعدة الزراعية في شركة الزيت العربية الأمريكية «أرامكو» وأحد المنتجين الرئيسيين للخضار في المنطقة الشرقية . وكان القصد من هذه التجربة تحقيق هدفين اثنين . أولهما ، معرفة الفائدة المادية التي يمكن أن يجنيها المزارع من استعمال هذه الأغطية المصنوعة من «البوليتيلين» . وثانيهما ، امكان زراعة البطاطا بشكل تجاري في المنطقة الشرقية . وقد بلغ عرض هذه الأغطية التي استخدمت في المنطقة الشرقية خمسة أقدام أقيمت على ارتفاع ثلاثة أقدام من سطح الأرض ، لتترك للغراس مجالا للنمو . وقد جاءت هذه الطريقة لتحل محل البيوت الزجاجية التي تؤمن للخضار جوا دافئا يقيها البرد والصقيع ويحفظ لها رطوبتها .

وقد كانت النتائج الأولية التي أسفرت عنها هذه التجربة الحديثة مشجعة بحيث أصبح في الامكان زراعة الخضراوات في غير موسمها وحماية أنواع الخضراوات الأخرى التي لديها القدرة على تحمل درجات من



١ - البطاطا كانت من بين النباتات التي أجريت عليها تجربة أغطية البلاستيك في إحدى مزارع المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية ، وكانت الدلائل الأولية مرضية ومشجعة . تصوير : علي محمد خليفة

٢ - تقسم غراس النبات قبل إعادة زرعها في محلول الفوليكوت المستخرج من الشمع البرافيني بقصد المحافظة على رطوبتها والمساعدة على نموها بانتظام ، ويكفي كيلوغرام واحد من هذا المحلول لمعالجة ٦ آلاف غرة . تصوير : «أور صن»



معدات الرش بالمسدس أو المضخات هي من الوسائل المستخدمة لرش شجيرات الطماطم والفلفل الأخضر والكرنب والنباتات الدائمة الخضرة بالفوليكوت بعد ازدهارها . تصوير : « أور صن »



تطمر القناة بالتراب الى علو مقداره ست بوصات ، وذلك بعد تغطيتها باللدائن لتثبيتها في مكانها ووقايتها من حرارة الشمس . تصوير : علي محمد خليفة

فدان من الطماطم تبين أن عشرين في المائة من الغراس النشطة قد أعطت متوجا يفوق ما أعطاه فدان آخر من الطماطم غمست أوراقه في الماء فقط . وهذا ما يؤكد فعالية « الفوليكوت » في رفع مستوى الانتاج .

لقد أدخلت على محلول « الفوليكوت » منذ اكتشافه عام ١٩٦٥ تحسينات عديدة ، وخاصة بعد أن أثبتت التجارب فعاليته في تنشيط الغراس الحديثة الزرع ، وفي قدرته على حماية أشجار الفاكهة والخضار الطازجة من التلوث . وقد قام عدد من خبراء الزراعة في الولايات المتحدة بأجراء تجارب واسعة على هذا المحلول في مناطق مختلفة من التربة وفي أجواء متفاوتة الحرارة ، أسفرت جميعها عن نتائج مرضية ومشجعة . وقد كشفت التجارب عن امكان الاستفادة من محلول « الفوليكوت » في حماية أنواع أخرى من الخضار ، مثل القرنيط والملفوف ، والنباتات الدائمة الخضرة وعصارة الفاكهة من الجفاف الذي يصيبها عادة في فصلي الصيف والشتاء . كما تجري الآن تجارب أخرى على هذا المحلول للاستفادة منه في حفظ ثمار الفاكهة من العطب والتعفن . فهناك أنواع خاصة من التفاح يمكن تخزينها أو تبريدها باستخدام محلول « الفوليكوت » قبل عملية القطف بفترة وجيزة ، وذلك لمنع تسرب الرطوبة منه والحفاظ على نكهته ولذة طعمه ، ويمكن ازالة آثار هذا المحلول الشمعي عن الفاكهة بغسلها بالماء ، وبذا يصبح بالامكان توفير أنواع معينة من التفاح في الأسواق في أشهر كان توفرها فيها شبه معدوم .

ويتوقع خبراء الزراعة أن يسهم محلول « الفوليكوت » الجديد في توفير عمليات الري على المزارعين في الأجواء الجافة ، وكذلك في المحافظة على مصادر المياه ، اذا كانت محدودة . فاذا ما استخدم « الفوليكوت » في فترات متعددة أثناء موسم زراعة بعض المحاصيل ، كالزيتون والخوخ والشمش والكمثرى ، فقد يؤدي ذلك الى خفض عدد مرات السقاية التي يتوجب على المزارع القيام بها خلال موسم الزراعة .

اعداد : **يوسف سني**
عن مجلة « أور صن »

الحرارة الخفيفة ، كما حدث تماما بمحصول الطماطم الذي يعد من المحاصيل الزراعية الرئيسية في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية .

الفوليكوت FOLIGOTE

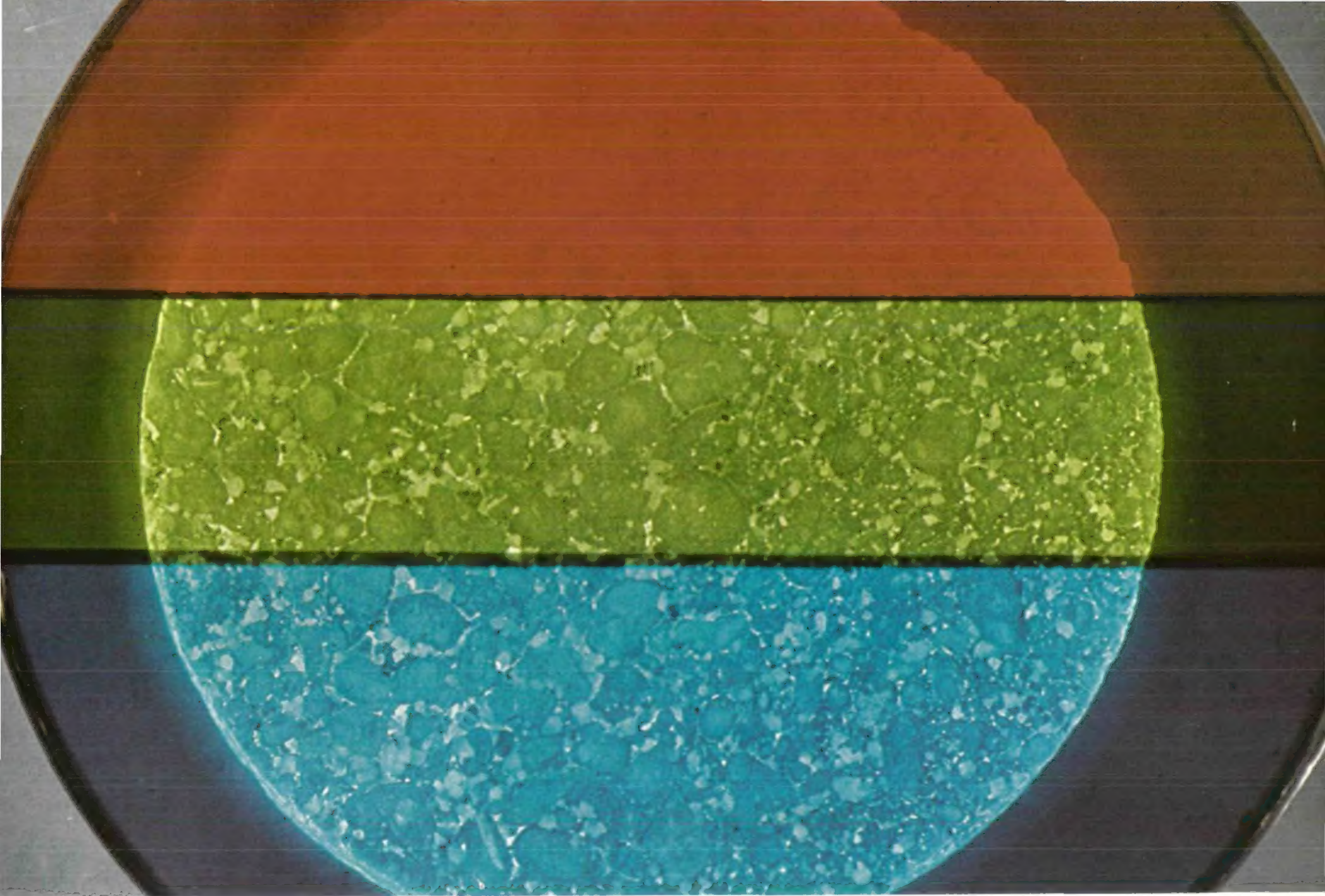
هو عبارة عن مستحلب يستخلص من شمع البرافين ، وذو لمعان قريب من لون الحليب ، وقد جاء هذا المستحلب معوانا للمزارعين الذين تنسى لهم بواسطته التغلب على متاعب عديدة كانوا يواجهونها في مواسم الزراعة المختلفة .

ومعالجة المزروعات بمحلول « الفوليكوت » عملية سهلة للغاية تتم بغمس أوراق النباتات المراد غرسها في المحلول حتى يحين موعد غرسها ، وبذلك تكون الأوراق قد احتفظت بنسبة كافية من الرطوبة التي تشكل عاملا أساسيا في أطوار نموها ومستوى إنتاجها . وجدير بالذكر ان جذور النباتات لا تتأثر مطلقا اذا ما غمست سهوا في المحلول . ويكفي مقدار كيلوغرام واحد من محلول « الفوليكوت » لمعالجة نحو ٦ آلاف غرسة . ان عملية نقل الغراس من المشاتل الى الحقول في أحوال جوية قاسية تحدث عادة نقصا في كمية الرطوبة الكامنة في جذورها ، لكن هذا النقص سرعان ما تستعيده الجذور لدى استئنافها امتصاص الماء من التربة الجديدة ومواصلتها عملية النمو الطبيعي .

ويمكن استخدام « الفوليكوت » كما يقول خبراء الزراعة ، في محصولي الطماطم والفلفل الأخضر اللذين يجري عادة ازدهارهما ونقلهما من مكان الى آخر أكثر من محاصيل الزراعة الأخرى ، وذلك لكونهما يتحملان أي نقص قد يطرأ على نسبة الرطوبة في جذورهما أثناء عملية الازدهار . ويصف أحد خبراء الزراعة الأمريكيين مهمة محلول « الفوليكوت » بأنها مجرد عملية تساعد على تنشيط النبات ونموه بشكل أسرع وأكثر تناسقا . ففي إحدى التجارب التي استخدم فيها محلول « الفوليكوت » على

غرساتے من لفظ لے لہ خضر عولجت لہی الی ایسا رخصا
بجاولے "لفولیکوت" فبدن اکتر جہونہ واکبر حجامین لہ خریے ..
رامع مقامے "وسائل زراعتہ حدیثہ لنوالنبات" تصویر: اوردنہ





عبد بنی حفیظانہ لہ قبیۃ "اسمائات" ایہی بقدر مہندس لوہیو جہان خیلانہ در اسما اعمار ہمنور
 ایہی نکونہ فہما الزینہ، دھوجہ مکبرہ نحو ۲۵ مرۃ .. جامع مقالہ "مکانہ ہرینہ؟" تصویر: شیخ انیس